من كليات رسائل النور

« الكلمة العاشرة »

رسالة الحشر

بديع الزمان
سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الصالحي


رسالة
الحشر

الطبعة الثانية

« منقحة »

١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

مطبعة العاني ـ بغـداد

من كليات رسائل النور

« الكلمة العاشرة »

رسالة



بديع الزمان

سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الصالحي



تقديم

في أحد أيام الربيع الزاهر .. وعلى ضفاف بحيرةٍ وادعةٍ هادئة ممتدة الى الأفق ، كان الاستاذ سعيد النورسي سارحاً بنظره في تأمل عميق نحو مياه البحيرة الملساء ، وقمم الجبال الشامخة الوعرة ، المكسوة بالغابات الكثيفة ، والخضرة المزدانة بأنواع الأزاهير والرياحين ، فملكت فؤادَه روعةُ المنظر ، وجمال الوجود ، ودقة الصنعة ، وأخذته الدهشة من انبعاث الحياة في كل ما حوله من جمادات ونباتات وسريان روح الربيع الزاهية بعد ان كانت ملفعة طوال ايام الشتاء بأكفان الجليد .. فبدأ يردد ــ دون اختيار منه ــ قول الله سبحانه وتعالى : (**فانظر الى آثار رَحمَتِ الله كيفَ يُحيي الارضَ بعدَ موتِها إنّ ذلك لمحيي المَوتى وهوَ على كلِّ شيءٍ قَديرٌ**) زهاء أربعين مرة ، وهو يذرع جانباً من ضفاف بحيرة « بارلا » جيئة وذهاباً ، حتى شرح الله سبحانه صدرَه ، وقذف في قلبه نوراً من فيض هذه الآية الكريمة . فأخذت المعاني الجليلة تسلك سبيلَها الى نفسه . فما كان منه إلا أن أملى هذه المعاني على أحد تلامذته .. فكانت هذه الرسالة .

كان ذلك في سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٦) والاستاذ النورسي تحت الاقامة الجبرية في « بارلا » ، تلك القرية النائية على سفح جبال طوروس ، جنوب غربي تركيا ومن اعمال ولاية « اسبارطة » .

● وقد ولد النورسي في قرية « نورس » القريبة من بحيرة « وان » في سنة (١٢٩٣هـ) الموافق ١٨٧٣م · ونشأ في بيت يسوده الورع والتقوى · وانخرط في صباه سلك الطلبة في المدارس الدينية ، ونهل من منابع العلوم الاسلامية جميعها ، ثم أخذ بناصية العلوم الحديثة ، بما حباه الله من ذكاء خارق ، حتى لقّب بـ « بديع الزمان » ·

قاد فرق الانصار المتشكلة من المتطوعين ومن طلابه ، ضد الروس في الحرب العالمية الاولى ، وألّف اثناءها ـ وهو في ميادين القتال وحفر الخنادق ـ تفسيره القيّم « اشارات الاعجاز في مظان الايجاز » باللغة العربية، ووقع في الاسر فأدركته عناية الله في هذه المحنة فتمكن من الفرار والعودة الى بلده بعد سنتين واربعة اشهر في الأسر ، وعيّن عضواً في أعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية وهو « دار الحكمة الاسلامية » · ألّف في هذه الفترة أحد عشر مؤلفاً باللغة العربية ، يدور كلها حول العقيدة واعجاز القرآن العظيم ··

وما ان دخل الحلفاء استانبول محتلين ، وتهيأت الوسائل لحرب التحرير ضدهم ، حتى كان في مقدمة صفوف المجاهدين ·· وعندما اتجهت الدولة الناشئة نحو الغرب ، وانجرفت مع تياره ، واستبدلت بالحروف العربية الحروف اللاتينية ، وأحدثت الاذان بالتركية ، وفرضت الزيّ الاوروبي ، واتجهت نحو طمس العقيدة الاسلامية في نفوس الناشئة ، أدرك الاستاذ النورسي ان ميدان الجهاد قد انحصر في تربية النفوس على معاني الايمان وتثبيت القلوب على العقيدة ، والقيام بما يؤدي الى احتفاظ المسلم بشخصيته الاسلامية فانكبّ على املاء « رسائل النور » باللغة التركية ، والتي تعالج هذه النواحي على طلابه ومحبيه ، كلما وجد الى ذلك سبيلا · وأتمّها خلال (٢٣) سنة التي قضاها بين الحبس والتشريد والنفي ، الى

ان اختاره الله عزّ وجل لجواره في ليلة القدر في سـنة ١٣٧٩ من الهجـرة الموافق ٢٣ مارت سنة ١٩٦٠ من الميلاد ·

و « رسائل النور » تنوف على مئة وثلاثين رسالة ومجموعها تشكل « كليات رسائل النور » في نحو ستة آلاف صفحة · و « رسالة الحشر » هذه هي أول ما أُلّف من هذه الرسائل · وهي « الكلمة العاشرة » مـن ثلاثٍ وثلاثين كلمة التي يتضمنهـا كتاب « سوزلر » أي « الكلمات » · وفقنا المولى الكريم على القيام بترجمتها ، مع قصر باعنا ومحدودية ادراكنا لما في أصل الرسـالة من بلاغة القول ، ودقة الاداء ، وسـمو المعاني · نسأله سبحانه القبول ، وهو السميع العليم ·

احسان قاسم الصالحي

الكلمة العاشرة

من كتاب « سوزلر »

« الكلمـات »



تنبيـــه

ان سبب ايرادي التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو : الوصول الى تقريب المعاني الى الأذهان من ناحية ، واظهار مدى معقولية الحقائق الاسلامية ومدى تناسبها ورصانتهـا من ناحية أخرى ، فمغزى الحكايات انما هو الحقائق التي تنتهي اليها ، والتي تدل عليهـا كناية ٠ فهي اذن ليست حكايات خيالية وانما حقائق صادقة ٠

سعيد النورسي

ملحوظة :

ان الهوامش الواردة في هذه الرسالة ايضاحات مهمة وتعليقات دقيقة تعتبر من صميم البحث ، كتبها الاستاذ النورسي نفسه ، ولا دخل لنا سوى ترجمتها بأمانة ، الا ما كانت مذيّلة باسم « المترجم » ٠
اما العناوين الفرعية المحصورة بين قوسين مزدوجين فليست من النص٠

« المترجم » ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

فانظر إلى آثار رحمت الله
كيف يحيي الأرض بعد موتها
إن ذلك لمحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير

(سورة الروم/٥٠)

[أخـي :

إن رمتَ ايضاح أمر الحشر وبعضَ شؤون الآخرة على وجهٍ يُلائم فهمَ عامة الناس ، فاستمع اذن معي الى هذه الحكاية القصيرة] ٠

ذهب اثنان معاً الى مملكة رائعة الجمال كالجنة (التشبيه هنا للدنيا) واذا بهما يَريان ان أهلها قد تركوا ابواب بيوتهم وحوانيتهم ومحـلاتهم مفتوحة لا يهتمون بحراستها ٠٠٠ فالاموال والنقود في متناول الايدي دون ان يحميها أحد ٠ بدأ أحدهما ـ بما سوّلت له نفسه ـ يسرق حينا ويغصب حينا آخر مرتكباً كل انواع الظلم والسفاهة ، والاهلون لا يبالون به كثيراً٠ فقال له صديقه :

« ويحك ماذا تفعل ؟ انك ستنال عقابك ، وستلقيني في بلايا ومصائب٠ فهذه الاموال هي أموال الدولة ، وهؤلاء الأهلون قد اصبحوا ـ بعوائلهـم واطفالهم ـ جنود الدولة أو موظفيها ، ويُستخدمون في الوظائف ببزّتهم المدنية ، ولذلك لم يُبالوا بك ٠ اِعلم أن النظام هنا صارم ، فعيون السلطان ورقباؤه وهواتفـه في كل مكان ٠ أسـرع يا صاحبي بالاعتـذار وبادر الى التوسل » ٠ ولكن صاحبه الأبله عاند قائلاً :

« دعني يا صاحبي ، فهذه الاموال ليست أموالاً للدولـة ، بل هي أموال مشاعة ، لا مالك لها ٠ يستطيع كل واحد ان يتصرف فيها كما يشاء٠ فلا أرى ما يمنعني من الاستفادة منها ، أو الانتفاع بهذه الاشياء الجميلـة

المنثورة امامي · واعلم اني لا أصدّق بشيء لا تراه عيناي » ·· وبدأ يتفلسف ويتفوه بما هو من قبيل السفسطة · وهنا بدأت المناقشة الجادّة بينهما ، وأخذ الحوار يشتد ، اذ سأل المغفل :

ـ « وما السلطان ؟ فانا لا أعرفه » · فردّ عليه صاحبه :

ـ « انك بلاشك تعلم انه لايمكن وجود قرية بلا مختار ، ولا إبرة بلا صانع بلا مالك ، ولا حرف بلا كاتب · فكيف يسوغ لك القول : انه لا حاكم ولا سلطان لهذه المملكة الرائعة المنتظمة المنسقة ؟ وكيف تكون هذه الأموال الطائلة والثروات النفيسة الثمينة بلا مالك ، حتى كأن قطاراً مشحوناً بالارزاق الثمينة يأتي كل ساعة ويفرغ هنا ثم يذهب(١) ! أوَ لا ترى في أرجاء هذه المملكة اعلانات السلطان وبياناته ، واعلامَه التي ترفرف في كل ركن ، وختمه الخاص وسكّتَه وطرّتَه على الاموال كلها ، فكيف تكون مثل هذه المملكة دون مالك ؟ ··· يبدو انك تعلمت شيئاً من لغة الافرنج ، ولكنك لا تستطيع قراءة هذه الكتابات الاسلامية ولا ترغب ان تسأل من يقرأها ويفهما ، فتعال اذن لاقرأ لك أهم تلك البلاغات والاوامر الصادرة من السلطان ·· فقاطعه ذلك المعاند قائلاً :

ـ لنسلم بوجود السلطان ، ولكن ·· ماذا يمكن ان تضره وتنقص من خزائنه استفادتي القليلة هذه ؟ ثم اني لا أرى هنا عقاباً من سجن أو غيره !

أجابه صاحبه :

ـ « يا هذا ، ان هذه المملكة التي نراها ما هي الاّ ميدان إمتحانٍ واختبار ، وساحة تدريب ومناورة ، وهي معرض صنائع السلطان البديعة ، ومضيف مؤقت جداً ··· الا ترى أنه تأتي يومياً قافلة وترحل أخرى وتغيب ؟

---

(١) اشارة الى فصول السنة حيث الربيع يشبه شاحنة قطار مملوءة بالاغذية وهو يأتي من عالم الغيب ·

فهذا هو شأن هذه المملكة العامرة ، انها تملأ وتخلى باستمرار ، وسوف تفرغ نهائياً وتبدل بأخرى باقية دائمة ، وينقل اليها الناس جميعا ، فيثاب أو يُعاقب كلٌ حسب عمله ..

ومرة اخرى تمرّد صديقه الحائر قائلاً :ـ

« أنا لا أؤمن ولا اصدق ! فهل يمكن ان تُباد هذه المملكة العامرة ، ويرحل عنها أهلُها الى مملكة اخرى ؟» وعندها قال له صديقه الناصح الامين:

« يا صاحبي ما دمتَ تعاند هكذا وتصرّ فتعال أبين لك دلائل لا تعد ولا تحصى مجملةً في « الثنتي عشرة صورة » تؤكد لك ان هناك محكمة كبرى حقاً ، وداراً للثواب والاحسان ، واخرى للعقاب والسجن ، وانه كما تفرغ هذه المملكة من اهلها يوماً بعد يوم ، فسيأتي يوم تفرغ فيه منهم نهائياً وتباد كلياً .

« صور دالّة على الحشر »

الصورة الأولى

أمن الممكن : ان سلطنة ـ ولاسيما كهذه السلطنة العظمى ـ لا يكون فيها ثوابٌ للمطيعين ولا عقاب للعاصين ؟ ٠٠ ولما كان العقاب والثواب في حكم المعدوم في هذه الدار فلابد اذن من محكمةٍ كبرى في دارٍ اخرى ٠

الصورة الثانية

تأمل سيرَ الاحداث والاجراءات في هذه المملكة ، كيف يوزَّع الرزقُ رغداً حتى على أضعف كائن فيها وأفقره ، وكيف ان الرعاية تامة والمواساة دائمة لجميع المرضى الذين لا معيل لهم ! ٠ وانظر الى الاطعمة الفاخـرة ، والاواني الجميلة ، والأوسمة المرصعة ، والملابس المزركشة ٠٠ فالموائـد العامرة مبثوثة في كل مكان ٠٠٠ وانظر ! الجميع يتقنون واجباتهم ووظائفهم ـ إلا أنت وأمثالك من البلهاء ـ فلا يتجاوز أحد حدَّه قيد أنملة ، فأعظم شخص يؤدي ما أنيط به من واجب بكل تواضع ، وفي غاية الطاعة ، تحت ظل جلال الهيبة والرهبة ٠ اذن فمالِكُ هذه السلطنة ومليكه ذو كرم عظيم، وذو رحمة واسعة، وذو عزة شامخة، وذو غيرة جليلة ظاهرة وذو شرف سامٍ٠ ومن المعلوم ان الكرم يستوجب إنعاماً ، والرحمة لا تحصل دون احسان ، والعزة تقتضي الغيرة ، والشرف السامي يستدعي تأديب المستخفين ، بينما لا يتحقق ـ في هذه المملكة ـ جزء واحد من ألفٍ مما يليق بتلـك الرحمة

ولا بذلك الشرف · فيرحل الظالم في عزته وجبروته ويرحل المظلوم في ذلـه وخضوعـه ·

فالقضية اذن مؤجلة" الى محكمة كبرى ·

الصورة الثالثة

انظر ، كيف تُنجز الاعمال هنا بحكمة فائقة وبانتظام بديع ، وتأمل كيف يُنظر الى المعاملات بمنظار عدالةٍ حقة وميزانٍ صائب · ومن المعلوم ان حكمة الحكومة وفطنتها هي في اللطف بالذين يحتمون بحماها وتكريمهم· والعدالة المحضة تتطلب رعاية حقوق الرعية ، لتصان هيبة الحكومة وعظمة الدولة ·· غير انه لا يبدو هنا إلا جزء" ضئيل" من تنفيذ ما يليق بتلك الحكمة ، وبتلك العدالة · فأمثالك من الغافلين سيغادرن هذه المملكة دون أن يرى اغلبهم عقاباً ·

فالقضية اذن مؤجلة بلا شبهة الى محكمة كبرى ·

الصورة الرابعة

انظر الى ما لا يعد ولا يحصى من الجواهر النادرة المعروضة في هـذه المعارض ، والاطعمة الفريدة اللذيذة المزيّنة بها الموائد ، مما يُبرز لنـا : أن سلطان هذه المملكة له سخاء غير محدود ، وله خزائن ملأى لا تنضب ·· ولكن مثل هذا السخاء الدائم ، ومثل هـذه الخزائن التي لا تنفـد ، يتطلبان حتماً دار ضيافة خالدة أبدية ، فيها ما تشتهيه الانفس · ويقتضيان كذلك خلود المتنعمين المتلذذين فيها ، من غير ان يذوقوا ألم الفراق والزوال، اذ كما انَ زوال الألم لذة فزوال اللذة ألم كذلك ·· وانظر الى هذه المعارض، ودقق النظر في تلك الاعلانات ، واصغ جيداً الى هؤلاء المنادين الدعاة الذين يصفون عجائب مصنوعات السلطان ــ ذي المعجـزات ــ ويعلنون عنهـا ،

ويظهرون كماله ، ويفصحون عن جماله المعنوي الذي لا نظير له ، ويذكرون لطائف حسنه المستتر ٠

فلهذا السلطان اذن كمال محيّر ، وجمال معنوي رائع ، يبعثان على الاعجاب ٠ ولاشك ان الكمال المستتر الذي لا نقص فيه يقتضي اعلانه على رؤوس الاشهاد من المعجبين المستحسنين ، ويتطلب اعلانه امام انظار المقدّرين لقيمته ٠ أما الجمال الخفي الذي لا نظير له ، فيستلزم الرؤية والاظهار ، اي رؤية جماله بوجهين :

احدهما : رؤيته بذاته جماله في كل ما يعكس هذا الجمال من المرايا المختلفة ٠

ثانيهما : رؤيته بنظر المشاهدين المشتاقين والمعجبين المستحسنين له ٠ وهذا يعني ان الجمال الخالد يستدعي رؤيةً ، وظهوراً ، مع مشاهدةٍ دائمةٍ ، وشهودٍ أبدي ٠٠ وهذا يتطلب حتماً خلودَ المشاهدين ، لأن الجمال الخالد لا يرضى بالمشتاق الزائل ٠ ولأن المشاهد الذي يشعر بالزوال ـ اي بعدم العودة الى الحياة ـ فان تصور الزوال يبدل محبته عداءً ، واعجابه استخفافاً ، وتوقيره اهانةً ، اذ الانسان عدو لما يجهل ولما يقصر عنه ٠ ٠٠ ولما كان الجميع يغادرون دور الضيافة هذه بسرعة ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال ، بل قد لا يرون إلا ظلالاً خافتة منه عبر لمحات سريعة ٠

فالرحلة اذن منطلقة الى مشهد دائم خالد ٠

الصورة الخامسة

تأمل ، كيف أن لهذا السلطان ـ الذي لا نظير له ـ رأفة عظيمة تتجلى في خضم هذه الأحداث والامور ، اذ يغيث الملهوف المستغيث ، ويستجيب

الداعي المستجير ، واذا ما رأى أدنى حاجة لأبسط فـرد من رعايـاه فانـه يقضيها بكل رأفة وشفقة ، حتى انه يرسل دواءً او يهيىء بيطاراً لاسعاف قدم نعجة من النعاج ٠

هيا بنا يا صاحبي لنذهب معاً الى تلك الجزيرة ، حيث تضم جمعـاً غفيراً من الناس ٠ فجميع اشراف المملكة مجتمعون فيها ٠٠ انظر فها هو ذا مبعوث كريم للسلطان متقلّد أعظم الأوسمة وأعلاها يرتجل خطبة يطلب فيها من مليكه الرؤوف أموراً ، وجميع الذين معـه يوافقونـه ويصدّقونه ويطلبون ما يطلبه ٠

أنصت لما يقول حبيب الملك العظيم ، انـه يدعـو بأدبٍ جم وتضرّع ويقـول :

« يا من أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، يا سلطاننا ، أرنا منابع واصولَ ما أريتَه لنـا من نماذج وظلال ٠٠٠ خذ بنا الى مقر سـلطنتك ولا تهلكنا بالضياع في هذه الفلاة ٠٠٠ اقبلنا وارفعنا الى ديوان حضورك٠٠ ارحمنا ٠٠٠ اطعمنا هناك للذائذ ما اذقتنا اياه هنا ، ولا تعذبنا بألم التنائي والطرد عنك ٠٠٠ فها هم اولاء رعيتك المشتاقون الشاكرون المطيعون لك ، لا تتركهم تائهـين ضائعـين ، ولا تفنهـم بمـوت لا رجعـة بعـده » ٠٠
أسمعت يا صاحبي ما يقول ؟ ٠ ترى أمن الممكن لمن يملك كل هذه القـدرة الفائقة ، وكل هذه الرأفة الشاملة ، ان لا يعطي ما يرغب فيـه مبعوثـه الكريم لديه ، ولا يستجيب لأسمى الغايات وانبـل المقاصد ؟ وهو الـذي يقضي أدنى رغبة لأصغر فرد من رعاياه ؟ مع أن ما يطلبه هذا المبعوث الكريم تحقيقٌ لرغبات الجميع ومقاصدهم ، وهو من مقتضيات عدالته ورحمتـه ومرضاته ٠ ثم انه يسير عليه وهيّن ، فليس هو بأصعب مما عرضه من نماذج في متنزهات هذه المملكة ومعارضهـا ٠٠ فما دام قد انفق نفقـات

باهظة وأنشأ هذه المملكة لعرض نماذجه عرضاً مؤقتاً ، فلابد أنه سيَعرِض في مقر سلطنته من خزائنه الحقيقية ، ومن كمالاته وعجائبه مايبهر العقول.

اذن فهؤلاء الذين هم في دار الامتحان هذه ليسوا عبثاً ، وليسوا سدى، بل تنتظرهم قصورُ السعادة السرمدية الخالدة ، أو غياهب السجون الابدية الرهيبــة .

الصورة السادسة

تعال ، وانظر الى هــذه القاطرات الضخمة ، والى هــذه الطائرات المشحونة والى هذه المخازن الهائلة المملوءة ، والى هذه المعارض الانيقــة الجذابة ... وتأمل في الاجراءات وسير الامور .. انهــا جميعاً تبيّــن ان هناك سلطنة عظيمة حقاً(١) تحكم من وراء ستار . فمثل هذه الســلطنة

---

(١) فكما ان الجيش الهائل في ميدان المناورات ، أو مباشرة الحرب ، يتحول الى ما يشبه غابة أشواكٍ ، بمجرد تسلـّمه أمرَ : « خــذوا السلاح ، ركـّبوا الحِراب » . وكما يتحول المعسكر برمـّته ـ في كل عيد وعرض عسكري ـ الى ما يشبه حديقة جميلة ذات أزهار ملونة بمجرد تسلمه أمر : « احملوا شاراتكم ، تقلـّدوا أوسمتكم » ... كذلك أمر النباتات ـ غير ذات الشعور ـ والتي هي نوع من جنود غير متناهية لله سبحانه ـ كما ان الملائكة والجن والانس والحيوان جنوده ـ فهي عندما تتسلم أمر « كن فيكون » اثناء جهادها لحفظ الحياة وتؤمر بالامر الالهي « خذوا اسلحتكم وعتادكم لأجل الدفاع » تهيىء الاشجارُ والشجيرات المشوكة رميحاتها ، فيتحول سطح الارض الى ما يشبه المعسكر الضخم المدجج بالسلاح الابيض .

وهكذا فكل يوم من ايام الربيع ، وكل اسبوع فيه ، هو بمثابة عيد لطائفة من طوائف النباتات ، لذا تـُظهِر كلُّ طائفة منها ما وهـّبه لها سلطانها من هدايا جميلة ، ومــا أنعم عليهــا من أوسمة مرصعة ، فتعرض نفسها ـ بما يشبه العرض العسكري ـ امام نظر السلطان الازلي واشهاده ، كأنها تسمع امــراً ربانيــاً : « تقلـّدوا مرصعات

تقتضي حتماً رعايا تليق بها · بينما تشاهد انهم قد اجتمعوا في هذا المضيف ـ مضيف الدنيا ـ والمضيف يودّع يومياً صنوفاً منهم ويستقبل صنوفاً · وهم قد حضروا في ميدان الامتحان والاختبار هذا ، غير أن الميدان يُبدّل كل ساعة ، وهم يلبثون قليلاً في هذا المعرض العظيم ، يتفرجون على نماذج آلاء المليك الثمينة وعجائب صنعته البديعة ، غير ان المعرض نفسه يحوّل كل دقيقة ، فالراحل لا يرجع والقابل يرحل كذلك ··· فهذه الامور تبين بشكل قاطع : ان وراء هذا المضيف الفاني ، ووراء هذه الميادين المتبدلة ، ووراء هذه المعارض المتحولة ، قصور دائمة خالدة ، ومساكن طيبة ابدية ، وجنائنٌ مملوءة بحقائق هذه النماذج ، وخزائنٌ مشحونة باصولها ·

فالاعمال والافعال هنا اذن ما هي الا لأجل ما أُعدّ هنالك من جزاء· فالملك القدير يكلف هنا ويثيب ويجازي هناك فلكل فردٍ لون من السعادة حسب استعداده وما أقدم عليه من خير ·

الصورة السابعة

تعال ، لنتنزه قليلاً بين المدنيين من الناس لنلاحظ احوالهم ، وما تجري حولهم من امور · انظر ، فها قد نُصبَت في كل زاوية آلاتُ تصوير عديدة تلتقط الصور، وفي كل مكان كتّاب كثيرون يسجلون كل شيء ، حتى أهون الامور · هيا انظر الى ذاك الجبل الشاهق فقد نصبت عليه آلة

الصنعة الربانية ، واوسمة الفطرة الالهية التي هي الازهار والثمار ··· وفتّحوا الازهار » · عندئذ يعود سطح الارض كأنه معسكر عظيم في يوم عيد بهيج ، وفي استعراض هائل رائع تزخر بالأوسمة البراقة والشارات اللماعة ·

فهذا الحشد من التجهيز الحكيم وهذا المدى من العتاد المنظّم وهذا القدر من التزيين البديع يُري ــ لمن لم يفقد بصره ــ انه أمر سلطان قدير لا منتهى لقدرته ، وأمر حاكم حكيم لا نهاية لحكمته ·

تصوير ضخمة تخص السلطان نفسه(١) تلتقط صور كل ما يجري في هذه المملكة · فلقد أصدر السلطان أوامره لتسجيل الامور كلها ، أو تدوين المعاملات في مملكته · وهذا يعني ان السلطان المعظم هو الذي يملي الحوادث جميعها ، ويأمر بتصويرها ·٠٠٠ فهذا الاهتمام البالغ ، وهذا الحفظ الدقيق للأمور ، ووراءه محاسبة بلا شك ، اذ هل يمكن لحاكم حفيظ - لا يهمل أدنى معاملة لأبسط رعاياه - أن لا يحفظ ولا يدوّن الاعمال العظيمة لكبار رعاياه ، ولا يحاسبهم ولا يجازيهم على ما صنعوا مع انهم يُقدمون على اعمال تمسّ الملك العزيز ، وتتعرض على كبريائه ، وتأباه رحمته الواسعة ؟·· وحيث انهم لا ينالون عقاباً هنا
فلابد انه مؤجل الى محكمته الكبرى ·

الصورة الثامنة

تعال ، لأتلو عليك هذه الأوامر الصادرة من السلطان · انظر ، انه يكرر وعده ووعيده قائلاً : لآتينّ بكم الى مقر سلطنتي ، ولأسعدنّ المطيعين

---

(١) لقد وضح قسم من هذه المعاني التي تشير اليها هذه الصورة في « الحقيقه السابعة » · فآلة التصوير الكبرى هنا - التي تخص السلطان - تشير الى اللوح المحفوظ ، والى حقيقته وقد اثبتت الكلمة « السادسة والعشرون » اللوح المحفوظ ، وتحقّق وجوده بما يأتي :
كما ان الهويات الشخصية الصغيرة ترمز الى وجود سجل كبير للهويات ، والسندات الصغيرة تُشعر بوجود سجل اساس للسندات ورشحات قطرات صغيرة وغزيرة تدل على وجود منبع عظيم ، كذلك فان القوى الحافظة في الانسان ، واثمار الاشجار ، وبذور الثمار ، كل منها بمثابة هويات صغيرة ، وبمعنى « لوح محفوظ صغير » ، وبصورة ترشحات نقاط صغيرة ترشحت من القلم الذي كتب اللوح المحفوظ الكبير · فلابد ان كلاً منها تشعر بوجود الحافظة الكبرى ، والسجل الاكبر ، واللوح المحفوظ الاعظم ، بل تُثبته وتبرزه الى العقول النافذة ·

منكم ، ولأزجنّ العصاة في السجن ، ولأدمرنّ ذلك المكان الموقت ، ولأنشأنّ مملكة أخرى خالدة ... علماً ان ما قطعه على نفسه من وعد ، هينٌ عليه ، وهو بالغ الأهمية لرعاياه ، أما إخلاف الوعد فهو منافٍ كلياً لعزته وقدرته. فانظر ايها الغافل : إنك تصدق اكاذيب أوهامك ، وهذيان عقلك ، وخداع نفسك ، ولا تصدّق مَن لا يحتاج الى مخالفة الوعد قطعاً ، ومَن لا تليق المخالفة بغيرته وعزته أصلا ، ومَن تشهد الامور كافة على صدقه .. انك – لاشك – تستحق العقاب العظيم ، اذ إن مَثلك في هذا مَثل المسافر الذي يغمض عينيه عن ضوء الشمس ، ويسترشد بخياله ، ويريد ان ينير طريقه المخيف ببصيص عقله الذي لا يضيء الا كاليراع (ذباب الليل) .
وحيث انه قد وعد ، فسيفي بوعده حتماً ، لأن وفاءه سهل عليه وهين ، وهو من مقتضيات سلطنته ، وهو ضروري جداً ، لنا وللكل شيء .

اذن هناك محكمة كبرى ، وسعادة عظمى .

الصورة التاسعة

تعال ، لننظر الى رؤوساء(١) هذه الدوائر ، فقسم منهم يمكنهم الاتصال بالسلطان العظيم مباشرة ، بهاتف خاص . بل لقد ارتقى قسم آخر وسما الى ديوان قدسه ... تأمل ماذا يقول هؤلاء ؟انهم يخبروننا جميعاً ان السلطان قد أعدّ مكاناً فخماً رائعاً لمكافأة المحسنين وآخر رهيباً لمعاقبة المسيئين . وانه يَعِد وعداً قوياً ويُوعِد وعيداً شديداً ، وهو أجلّ وأعزّ من أن يذلّ الى خلاف ما وعد وتوعد . علماً بأن اخبار المخبرين قد

---

(١) ان المعاني التي تثبتها هذه الاشارة ستظهر في « الحقيقة الثامنة » . فمثلا : أن رؤوساء الدوائر في هذا المثال ترمز الى الانبياء والاولياء . أما الهاتف فهو نسبة ربانية ممتدة من القلب الذي هو مرآة الوحي ومظهر الالهام وبمثابة بداية ذلك الهاتف وسماعته .

وصلت من الكثرة الى حد التواتر ومن القوة الى درجة الاتفاق والاجماع ·
فهم يبلغوننا جميعاً : بأن مقر هذه السلطنة العظيمة التي نرى آثارها
وملامحها هنا ، انما هو في مملكة اخرى بعيدة · وان العمارات في ميدان
الامتحان هذا بنايات وقتية ، وستُبدَّل الى قصور دائمة ، فتبدل هذه
الارض بغيرها· لأن هذه السلطنة الجليلة الخالدة ــ التي تُعرف عظمتُها من
آثارها ــ لا يمكن ان تقتصر هيمنتُها على مثل هذه الامور الزائلة التي
لا بقاء لها ولا دوام ولا قرار ولا قيمة ولاثبات · بل تستقر على ما يليق
بها وبعظمتها من امور تتّسم بالديمومة والاستمرار والخلود ·

فاذن هناك دار أخرى ·· ولابد ان يكون الرحيل الى ذلك المقر ·

الصورة العاشرة

تعال يا صاحبي ، فاليوم يوم عيد ملكي عظيم(١) ··· ستحدث
تبدلات وتغيرات وستبرز أمور عجيبة ·· فلنذهب معاً للنزهة ، في هذا
اليوم البهيج من ايام الربيع الى تلك الفلاة المزدانة بالازهار الجميلة ··
انظر ! فهاهم الناس متوجهون الى هناك ·· انظر ! هاهنا امر غريب عجيب ،
فالعمارات كلها تنهار وتتخذ شكلاً آخر ! حقاً انه شيء معجز ! اذ العمارات
التي انهارت قد أعيد بناؤها فوراً ، وانقلبت هذه الفلاة الخالية الى مدينة

---

(١) سترى ما ترمز اليه هذه الصورة في « الحقيقة التاسعة » · فيوم العيد ــ مثلا ــ اشارة الى فصل الربيع ، أما الفلاة المزدانة بالازهار فاشارة الى سطح الارض في موسم الربيع ، أما المناظر والمشاهد المتغيرة في الشاشة ، فالمقصود منها انواع ما يخرجه الربيع والصيف من الارزاق الخاصة بالحيوان والانسان التي يقدّرها الصانع القدير ذو الجلال والفاطر الحكيم ذو الجمال ، والذي يغيرها بانتظام كامل ويجدّدها برحمة تامة منه سبحانه ، ويرسلها في فترات متعاقبة متتالية ابتداء من اول الربيع الى انتهاء الصيف ·

عامرة ! انظر ·· انها تريك كل ساعة مشهداً جديداً وتتخذ شكلاً غير شكلها السابق ـ كشاشة السينما ـ لاحظ الأمر بدقة لترى روعة هذا النظام المتقن في هذه الشاشة التي تختلط فيها المشاهد بكثرة وتتغير بسرعة ، فهي مشاهد حقيقية يأخذ كل شيء مكانه الحقيقي في غاية الدقة والانسجام ، حتى المشاهد الخيالية لا تبلغ هذا الحد من الانتظام والروعة والاتقان ، بل لا يستطيع ملايين الساحرين البارعين من القيام بمثل هذه الاعمال البديعة ، اذن فللسلطان العظيم المستور عنا الشيء الكثير من الامور الخارقة ·

فيا أيها المغفل ! انك تقول : « كيف يمكن ان تدمّر هذه المملكة العظيمة وتعمّر من جديد في مكان آخر ؟ » ·

فها هو ذا أمامك ما لا يقبله عقلك من تقلبات كثيرة وتبدلات مذهلة ، فهذه السرعة في الاجتماع والافتراق ، وهذا التبدل والتغير ، وهذا البناء والهدم ··· كلها تنبىء عن مقصد ، وتنطوي على غاية ، اذ يُصرف لأجل اجتماع في ساعة واحدة ما ينفق لعشرة سنوات ! فهذه الاوضاع اذن ليست مقصودة لذاتها ، بل هي أمثلة ونماذج للعرض هنا · فالسلطان يُنهي اعماله على وجه الاعجاز ، كي تؤخذ صورها ، وتُحفظ نتائجها وتُسجل ـ كما تُسجل وتُحفظ كل الاوامر في ميدان المناورات العسكرية ـ فالأمور والمعاملات اذن ستجرى في الاجتماع الاكبر وتستمر وفق ما كانت هنا · وستعرض تلك الامور عرضاً مستمراً في المشهد الاعظم والمعرض الاكبر · أي أن هذه الاوضاع الزائلة تنتج ثماراً باقية وتولّد صوراً خالدة هناك ·

فالمقصود من هذه الاحتفالات اذن هو بلوغ سعادة عظمى ، ومحكمة كبرى ، وغايات سامية مستورة عنا ٠

الصورة الحادية عشرة

تعال أيها الصديق المعاند ، لنركب طائرة أو قطاراً ، لنذهب الى الشرق أو الى الغرب ـ أي الى الماضي أو الى المستقبل ـ لنشاهد ما اظهره السلطان من معجزات متنوعة في سائر الاماكن ٠ فما رأيناه هنا في المعرض. أو في الميدان ، أو في القصر ، من الأمور العجيبة له نماذج في كل مكان ، إلا انه يختلف من حيث الشكل والتركيب ٠ فيا صاحبي ، أنعم النظر في هذا ، لترى مدى ظهور إنتظام الحكمة ، ومبلغ وضوح اشارات العناية ، ومقدار بروز امارات العدالة ، ودرجة ظهور ثمرات الرحمة الواسعة ، في تلك القصور المتبدلة ، وفي تلك الميادين الفانية ، وفي تلك المعارض الزائلة ٠ فمَن لم يفقد بصيرته يفهم يقيناً : أنه لن تكون ـ بل لا يمكن تصور ـ حكمةٌ أكملَ من حكمة ذلك السلطان ولا عنايةٌ اجملَ من عنايته ، ولا رحمةٌ أشمل من رحمته ، ولا عدالة أجلّ من عدالته ٠٠٠ ولكن لما كانت هذه المملكة ـ كما هو معلوم ـ قاصرةً عن اظهار حقائق هذه الحكمة والعناية والرحمة والعدالة ، ولو لم تكن هناك في مقر مملكته ـ كما توهمت ـ قصور دائمة ، وأماكن مرموقة ثابتة ، ومساكن طيبة خالدة ، ومواطنون مقيمون ، ورعايا سعداء ـ تكون مظهرة لتلك الحكمة والعناية والرحمة والعدالة ، يلزم عندئذٍ إنكار ما نبصره من حكمة ، وانكار ما نشاهده من عناية ، وانكار ما نراه من رحمة ، وانكار هذه الامارات والاشارات للعدالة الظاهرة البينة ٠٠ انكار كل ذلك بحماقة فاضحة كحماقة من يرى ضوء الشمس وينكر الشمس نفسَها في رابعة النهار ! ويلزم أيضاً القول بأن القائم بما نراه من اجراءات تتسم بالحكمة وافعالٍ ذات غايات كريمة

وحسنات ملؤها الرحمة انما يلهو ويعبث ، ويغدر ـ حاشاه ثم حاشاه ـ ٠ وما هذا الا قلب الحقائق الى أضدادها ، وهو المحال باتفاق جميع ذوى العقول غير السوفسطائي الابله الذي يُنكِر وجودَ الاشياء ، حتى وجودَ نفسه ٠

فهناك اذن ديار غير هذه الديار ، فيها محكمة كبرى عليا ، وإنصافٌ سام ، ومكرمة عظمى ، لتظهر فيها هذه الرحمة وهذه الحكمة وهذه العناية وهذه العدالة بوضوح وجلاء ٠

الصورة الثانية عشرة

تعال فلنرجع الآن يا صاحبي ، لنلتقي ضباطَ هذه الجماعات ورؤوساءها ، انظر الى معدّاتهم ، ٠٠٠ أزوّدوا بها لقضاء فترة قصيرة من الزمن في ميدان التدريب هذا ، أم انها وُهبَت لهم ليقضوا حياة سعيدة مديدة في مكان آخر ؟ ولما كنا لا نستطيع لقاء كل واحد منهم ، ولا نتمكن الاطلاع على جميع لوازمهم وتجهيزاتهم ، لذا نحاول الاطلاع على هوية وسجل أعمال واحد منهم كنموذج ومثال ٠ ففي الهوية نجد رتبة الضابط ، ومرتّبه ، ومهمته ، وامتيازاته ، ومجال اعماله ، وكل ما يتعلق بأحواله ٠٠ لاحظ ، ان هذه الرتبة ليست لأيام معدودة بل لمدة مديدة ٠٠ ولقد كتب في هويته ان يتسلّم مرتّبه من الخزينة الخاصة بتاريخ كذا ٠٠٠ غير أن هذا التاريخ بعيد جداً ، ولا يأتي الا بعد انهاء مهام التدريب في هذا الميدان ٠٠ أما هذه الوظيفة فلا توافق هذا الميدان الموقت ولا تنسجم معه ؛ بل هي للفوز بسعادة دائمة في مكان سامٍ عند الملك القدير ٠٠٠ أما الواجبات فهي كذلك لا يمكن ان تكون لقضاء ايام معدودة في دار الضيافة هذه ، وانما هي لحياة أخرى سعيدة أبدية ٠٠٠ يتضح من الهوية بجلاء ، ان صاحبها مهيأ لمكان آخر ، بل يسعى نحو عالم آخر ٠

انظر الى هذه السجلات التي حدّدت فيها كيفية استعمال المعدّات والمسؤوليات المترتبة عليها ، فان لم تكن هناك منزلة رفيعة خالدة غير هذا الميدان ، فلا معنى لهذه الهوية المتقنة ، ولا لهذا السجل المنتظم ، ولسقط الضابط المحترم والقائد المكرم والرئيس الموقر الى درك هابط ولقي الشقاء والذلة والمهانة والنكبة والضعف والفقر ··· وقس على هذا ·· فأينما أنعمت النظر متأملاً قادك النظر والتدبر الى: أن هناك بقاء بعد هذا الفناء··

فيا صديقي ! ان هذه المملكة الموقتة ما هي الا بمثابة مزرعة ، وميدان تعليم ، وسُوق تجارى ، فلابد أن تأتي بعدها محكمة كبرى وسعادة عظمى·

فاذا انكرتَ هذا ، فسوف تضطر الى انكار كل الهويات والسجلات التي يمتلكها الضابط ، وكل تلك العُدد والاعتدة والتعليمات ، بل تضطر الى انكار جميع الأنظمة في هذه المملكة ، بل إنكار وجود الدولة نفسها ، وينبغي عند ذلك أن تكذّب جميع الاجراءات الحادثة · وعنده لا يمكن ان يُقال لك انسان له شعور · بل تكون اذ ذاك أشد حماقة من السوفسطائيين ·

* * *

وإياك إياك أن تظن أن دلائل واشارات تبديل المملكة منحصرة في « اثنتي عشرة صورة » التي أوردناها ، اذ إن هناك ما لا يعد ولا يحصى من الامارات والادلة على : أن هذه المملكة المتغيرة الزائلة تتحول الى اخرى مستقرة باقية، ، وهناك الكثير من الاشارات والعلامات تدل على : أن هؤلاء الناس سينقلون من دار الضيافة الموقتة الزائلة الى مقر السلطنة الدائمة الخالدة ·

يا صاحبي تعال لأقرر لك برهاناً أكثر قوة ووضوحاً من تلك البراهين الاثنى عشر التي انبأت عنها تلك الصور المتقدمة ·

تعال ، فانظر الى المبعوث الكريم ، صاحب الأوسمة الرفيعة الذي شاهدناه في الجزيرة ـ من قبل ـ انه يبلّغ أمراً الى الحشود الغفيرة التي تتراءى لنا على بُعد · فهيّا نذهب ونصغ اليه ··· انتبه ! فها هو يُفسّر للملأ البلاغ السلطاني الرفيع ويوضحه قائلاً لهم :

« تهيأوا سترحلون الى مملكة اخرى خالدة ، ما أعظمها من مملكة رائعة ! ان مملكتنا هذه تعدّ كالسجن بالنسبة لها · فاذا ما أصغيتم الى هذا الامر بامعان ، ونفذتموه باتقان ستكونون أهلا لرحمة سلطاننا واحسانه في مستقره الذي تتجهون اليه ، والا فالزنزانات الرهيبة مثواكم جزاء عصيانكم الأمر وعدم اكتراثكم به » ··· انه يذكّر الحاضرين بهذا البلاغ ، وانت ترى على ذلك البلاغ العظيم ختمَ السلطان الذي لا يُقلّد · والجميع يدركون يقيناً ـ إلا أمثالك من العميان ـ ان ذلك المبعوث المجلل بالأوسمة الرفيعة هو مبلّغ أمين لأوامر السلطان ، بمجرد النظر الى تلك الأوسمة ·

فيا ترى هل يمكن الاعتراض على مسألة تبديل هذه المملكة التي يدعو اليه ذلك المبعوث الكريم بكل ما أوتي من قوة ، ويتضمنه البلاغ الملكي السامي ؟ كلا ·· لا يمكن ذلك ابداً ، إلا اذا أنكرتَ جميع ما تراه من أمور وحوادث ·

فالآن ايها الصديق ! لك أن تقول ما تشاء ·

ـ ماذا عساي أن أقول ؟ وهل بقي مزيد من قول لقائل امام هذه الحقائق ! وهل يقال للشمس وهي في كبد السماء ، اين هي ؟ · ان كل ما أريد أن أقوله هو : الحمد لله ، وألف شكر وشكر ، فقد نجوت من قبضة الاوهام والاهواء ، وتحررت من أسار النفس والسجن الابدي ، فآمنت بأن

هناك دار سعادة عند السلطان المعظم ، ونحن مهيأون لها بعد هذه الـدار الفانية المضطربة ٠

*   *   *

وهكذا تمت الحكاية التي كانت كناية عن الحشر والقيامة ٠ والآن ننتقل بتوفيق العلي القدير الى الحقائق العليا ، فسنبينها في « اثنتي عشرة حقيقة » وهي متساندة مترابطة مقابل الصور الاثنتي عشرة ، بعد أن نمهد لها بمقـدمة ٠

المقدمة

نشير اشارات فحسب الى بعض المسائل أوضحناها في اماكن اخرى ، أي في الكلمات الثانية والعشرين ، والتاسعة عشرة ، والسادسة والعشرين.

الاشارة الأولى :

« الكون لابد له من مبدع »

هناك ثلاث حقائق للمغفل ولصديقه الناصح الأمين المذكورَين في الحكاية :

الاولى : هي نفسي الامارة وقلبي •

الثانية : متعلمو الفلسفة وتلاميذ القرآن الكريم •

الثالثة : ملة الكفر والامة الاسلامية •

ان عدم معرفة الله سبحانه وتعالى هو الذي أوقع متعلمي الفلسفة وملة الكفر والنفس الامارة في الضلالة الرهيبة • فمثلما قال الناصح الامين – في الحكاية – انه لا يمكن ان يكون حرف بلا كاتب ، ولا قانون بلا حاكم ، كذلك نقول :

انه محال ان يكون كتاب بلا كاتب ، ولاسيما كتاب كهذا الذي تتضمن كل كلمة من كلماته كتاباً خُطّ بقلم دقيق ، والذي تحت كل حرف من حروفه قصيدة دُبجت بقلم رفيع • وكذلك من أمحل المحال أن يكون هذا الكون من غير مبدع ، حيث ان هذا الكون كتاب على نحو عظيم بحيث يتضمن كل صحيفة فيه كتباً كثيرة ، لا بل كل كلمة منها فيها كتاب ،

وكل حرف منها فيه قصيدة ·· فوجه الارض صحيفة ، وما اكثر ما فيها من الكتب ! والشجرة كلمة واحدة ، وما أكثر ما فيهـا من صحائف ! الثمرة حرف ، والبذرة نقطة ··· وفي هذه النقطة فهرس الشجرة الباسقة وخطة عملها · فكتاب كهـذا لا يمكن ان يكون الا من ابداع قلم صاحب قدرة متصف بالجمال والجلال والحكمة المطلقة · أي أن مجرد النظر الى العالـَم ومشاهدته يستلزم هذا الايمان ، الا ّ مَن أسكـَرته الضلالة ! ·

ومثلما لا يمكن ان تكون دار بدون بنـّاء ، لاسيما هذه الدار التي زينت بأبدع زينة ، ونقشت بأروع النقوش وأعجبها وشـيـّدت بصنعـة خارقة ، حتى ان كل حجر من أحجارها يتجسم فيه فن ما في البناء كله · فلا يقبل عاقل أن تكون دار مثل هذه الدار بدون بناء ماهر ، وبخاصة أنه يشيـّد في هذا الديوان ــ في كل ساعة ــ مساكنَ حقيقية في غاية الانتظـام والتناسق ، ويغيـّرها بانتظام وسهولة كاملين ــ كسهولة تبديل الملابس ــ بل أنه ينشىء في كل ركن غرفاً صغيرة عدة في كل مشهد حقيقي ·

فلابد أن يكون لهذا الكون العظيم من خالق حكيم عليم قدير مطلق ، لأن هـذا الكون انما هو كالقصر البديـع : الشمسُ والقمر مصابيحـه ، والنجوم شموعه وقناديله ، والزمن شـريط يعلق عليه الخالق ذو الجـلال ــ في كل سنة ــ عالمـَاً آخر يبرُزه للوجود ، مجـد ّداً فيه صوراً منتظمة في ثلاثمائة وستين شكلاً وطرازاً ، مبدلاً إياه بانتظام تام ، وحكمة كاملة ، جاعلاً سطح الارض مائدة نِعَم ٍ ، يزيـّنها في موسم كل ربيع بثلاثمائة ألف نوع من أنواع مخلوقاته ، ويملؤها بما لا يعد ولا يحصى من آلائـه ، مع تمييز كلٍ منها تمييزاً كاملاً ، على الرغم من تداخلها وتشابكها · وقس على هذه الاشياء الامور الاخرى ·· فكيف يمكن التغافل عن صانع مثل هذا القصر المنيف ؟ ·

ثم ، ما أعظم بلاهة من ينكر الشمس في رابعة النهــار ، وفي صحــوة السماء ! في الوقت الذي يــرى تلألؤ اشعتها ، وانعكاس ضوئها ، على زَبَد البحر وحُبابه ، وعلى مواد البر اللامعة وعلى بلورات الثلج الناصعة ، لأن انكار الشمس الواحدة ورفضها ــ في هذه الحالة ــ يســتلزم قبول شُميسات حقيقية اصيلة ، بعــدد قطرات البحر وبعدد الزَبَد والحُباب وبعدد بلورات الثلج ، ومثلما يكون قبول وجود شمسٍ عظيمة في كــل جزيئة ــ وهي تسع ذرة واحدة ــ بلاهةً ، فان عدم الايمان بالخالق ذي الجلال ، ورفض التصديق بأوصاف كماله سبحانه ــ مع رؤية هذه الكائنات المنتظمة المتبدلة والمتعاقبة بحكمة في كل آن ، والمتجددة بتناسق وانتظام في كل وقت ــ ضلالة أدهى ولاشك ، بل هذيان وجنون ٠٠٠ لأنــه يلزم اذ ذاك قبول ألوهية مطلقة في كل شيء ، حتى في كل ذرة ! ٠

لأن كل ذرة من ذرات الهــواء ــ مثلا ــ تستطيع أن تدخــل في كل زهرة ، وفي كل ثمرة ، وفي كل ورقة ، وتتمكن ان تؤدي دورها هنــاك ٠ فلو لم تكن هذه الذرة مأمورةً ومسخرةً للزم أن تكون على علمٍ باشكال ما تمكنت من الدخول فيه ، وبصورته ، وتركيبه ، وهيئته ، أي يجب ان تكون ذات علم محيط ، وذات قدرة شاملة كي تستطيع القيام بذلك !!

وكل ذرة من ذرات التراب ــ مثلاً ــ يمكن ان تكون ســبباً لنشــوء البذور ونمو أنواعها جميعاً ٠ فلو لم تكن مأمورة ومسخّرة للزم أن تحتوي آلات وأجهزة معنوية بعدد انواع الاعشاب والاشجار ، أو يجب منحها قدرة ومهارة بحيث تعلم جميــع اشــكال تراكيبها ، فتصنعها ، وتعرف جميــع صورها ، فتنسجها ٠٠٠ وقس على هذا سائر الموجودات ، حتى تفهم أن للوحدانية دلائل واضحة باهرة في كل شيء ٠

نعم ، ان خلق كل شيء من شيء واحد ، وخلق شيء واحد من كل شيء ، انما هو عمل يخص خالق كل شيء . فتدبر وتأمل في قوله تعالى « وإنْ مِن شيءٍ إلاّ يسبّح بحمده » . واعلم ان عدم الاعتقاد بالاله الواحد الأحد يستلزم الاعتقاد بآلهة عدة بعدد الموجودات !

الاشارة الثانية

« وظائف النبوة »

لقد جاء في الحكاية ذكر مبعوث كريم ، وذُكِر أن من لم يكن أعمى يفهم من رؤية أوسمته : أنه شخص عظيم ، لا يأتمر الا بأمر السلطان ، فهو عامله الخاص .. فهذا المبعوث انما هو رسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم .

نعم ، يلزم ان يكون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس ، مثل هذا الرسول الكريم ، كلزوم الضوء للشمس . لانه كما لا يمكن للشمس الا ان تشع ضياءً كذلك لا يمكن للألوهية الا ان تظهر نفسها بارسال الرسل الكرام عليهم السلام .

فهل يمكن ان لا يرغب جمالٌ في غاية الكمال في اظهار نفسه بوسيلة ودليل يعرّفه ؟

أم هل يمكن ان لا يطلب كمالٌ في غاية الجمال الاعلانَ عنه بوساطة يلفت الانظار اليه ؟

أم هل يمكن ان لا تطلب سلطنةٌ كلية لربوبية عامة شاملة اعلانَ وحدانيتها وصمدانيتها على مختلف الطبقات بوساطة مبعوث ذي جناحين ؟ أي ذي صفتين : صفة العبودية الكلية ، فهو ممثل طبقات المخلوقات عند الحضرة الربانية . وصفة الرسالة والقرب اليه ، فهو مُرسل من لدنه سبحانه الى العالمين كافة .

أم هل يمكن لصاحب جمال مطلق ان لا يروم ان يشهد هو ويشهد خلقه محاسن جماله ولطائف حسنه في مرايـا تعكس هـذا الجمـال : أي بوسـاطة رسـول حبيب ، فهو حبيب لتودده الى الله سـبحانه بعبوديته الخالصة · وهو رسول حبيب لأنه يحبب الله سبحانه الى الخلق باظهار جمال اسمائه الحسنى ·

أم هل يمكن ان لا يريد مَن يملك خزائن مشحونة بأغلى الاشـياء واعجبها وبما يدهش العقول ، اظهارَ كماله المستتر · وان لا يطلب عرضـه على انظار الخلق اجمعين ، وكشفـَه على مرأى منهم ، بوسـاطة معرّف حاذق ومعلن وصّاف ؟

أم هـل يمـكن لِمَن زيّـن هـذا الـكون بمخـلوقـات معبّـرة عن كمال اسمائه الحسنى ، وجعله قصراً رائعاً ، وجمّله ببدائع صنعتـه المذهلة ، وعرضه على الأنظار ، ثم لا يكل أمر ايضاحه الى مرشـد معلم رائـد ؟ ·

أم هل يمكن ان لا يبيّـن مالك هذا الكون بوساطة رسول : ما الغاية من تحولات هذا الكون وما القصد من هذا الطلسم المغلق ؟ وان لا يجيب بوساطته عن ألغـاز الاسئلة الثلاثة المستعصية في الموجـودات ، وهي : من أين ؟ والى أين ؟ ومن تكون ؟

أم هل يمكن للخالق ذي الجلال الذي عرّف نفسه الى ذوي الشعور بهذه المخلوقات الجميلة ، وحبّبها اليهم بنعمه الغالية ، أن لا يبيّـن لهـم بوساطة رسول ما يريد منهم وما يرضيه ازاء هذه النعم السابغة ؟

أم هل يمكن للخالق الذي ابتلى النوع الانساني باختلاف المشـاعر والاتجاهات ، وهيأ استعداده للعبودية التامة الكلية ، أن لا يطلب توجيه

انظار هذا النوع من الكثرة الى التوحيد بوساطة مرشد مرسل ؟ .

وهكذا فان هناك دلائل اخرى زيادة على ما تقدم ، كلها براهين قاطعة تبين : « **وظائف النبوة ومهامها** » ، وتوضّح : ان الالوهية لا تكون بـدون رسـالة .

والآن ، فهل ظهر في العالم مَن هـو اكثر اهليـة ، واجمـع لتلـك الاوصاف والوظائف التي ذكرت ، من محمد الهاشمي صلى الله عليه وسلم ؟ أم هل هناك أحدٌ أليق منه صلى الله عليه وسلم لمنصب الرسالة ومهمـة التبليغ ؟ وهل أظهر الزمان أحـداً اعظم أهلية منـه ؟ كلا . . ثم كلا . . فهو امـام جميـع المرسلين ، وقـرة عين كل الاصفيـاء ، وسلطان جميع المرشدين ، وزبدة كل المختارين والمقربين ، صاحب ألوف المعجزات : كشق القمر ، ونبعان الماء من بين اصابعه الشريفة ، مما عدا دلائل نبوته واماراتها التي لا تحصى ، مما هو محل اجماع اهل الفضل والعلم ، وعـدا القرآن العظيم الذي هو بحر الحقائق والمعجزة الكبرى ، اذ أنه كالشمس الساطعة دليل قاطع على صدق رسالته . ولقد اثبتنا اعجاز القرآن بما يقرب مـن أربعين وجهاً من وجوه الاعجاز في (رسائل النور) ، ولاسيما في « الكلمة الخامسة والعشـرين » .

الاشارة الثالثة

« شبهتان ودفعهما »

لا يخطرنّ على بال أحد ويقول : ما أهمية هـذا الانسان الصغـير وما قيمته حتى تنتهي هذه الدنيا العظيمة وتفتح دنيا اخرى لمحاسبته على اعمـالـه !

لأن : هذا الانسان ، انما هو سيد الموجودات رغم انه صغير جـداً ، لما يملك من فطرة جامعة شاملة . . . فهو قائد الموجودات ، والـداعي الى

سلطان الوهية الله ، والممثل للعبودية الكلية الشاملة ومظهرها ، لذا فان له اهمية عظمى ٠

ولا يخطرن على البال كذلك : كيف يكون هذا الانسان محكوماً بعذاب أبدي ، مع أن له عمراً قصيراً جداً ؟ ٠

لأن : الكفر جريمة كبرى ، وجناية لا حدود لها ، حيث انه يهبط بقيمة الكائنات ودرجتها ـ التي توازي قيمة المكتوبات الصمدانية ودرجتها ـ الى هاوية العبث ، وبوهم عدم وجود الغاية من ايجادها ٠٠٠ انه تحقير بيّن للكائنات كلها وانكارٌ لما يشاهد من انوار الاسماء الحسنى كلها ، وانكار آثارها في هذه الموجودات ، ومن ثم فانه تكذيب ما لا يحصى من الادلة الدالة على حقيقة وجود ذات الحق سبحانه وتعالى ، وكل هذا جناية لا حدود لها ، والجناية التي لا حدود لها توجب عذاباً غير محدد بحدود ٠

الاشارة الرابعة

« العالم الفاني دليل على العالم الباقي »

لقد رأينا في الحكاية ـ بصورها الاثنتي عشرة ـ انه لا يمكن بوجه من الوجوه : أن تكون لسلطان عظيم مملكة مؤقتة ـ كأنها دار ضيافة ـ ثم لا تكون له مملكة اخرى دائمة مستقرة ، ولائقة لأبهته وعظمته ومقام سلطنته السامية ، كذلك لا يمكن بوجه من الوجوه : أن لا ينشيء الخالق الباقي سبحانه عالماً باقياً بعد أن أوجد هذا العالم الفاني ٠ ولا يمكن ايضاً : ان يخلق الصانع السرمدي هذه الكائنات البديعة الزائلة ، ولا ينشيء كائنات أخرى دائمة مستقرة ٠ ولا يمكن ايضاً : ان يخلق الفاطر الحكيم القدير الرحيم هذا العالم ـ الذي هو بحكم المعرض العام وميدان الامتحان والمزرعة الوقتية ـ ثم لا يخلق الدار الآخرة التي تكشف عن غاياته وتظهر اهدافه !

ان هذه الحقيقة يتم ولوجها من « **اثنى عشر باباً** » ٠ وتفتح تلك الابواب بـ « **اثنتي عشرة حقيقة** » ، نبدأ بأقصرها وأبسطها ٠

الحقيقـة الأولى

باب الربوبية والسـلطنة

وهو تجـلي اسـم

« الرَّب »

أمن الممكن : أن مَن له شأن الربوبية وسلطنة الالوهية ، فأوجد كوناً بديعاً ـ كهذا الكون ـ لغايات سامية ، ولمقاصد جليلة ، اظهاراً لكماله ٠ ثم لا يكون لديه ثواب للمؤمنين الذين قابلوا تلك الغايات والمقاصد بالايمان والعبودية ، ولا يعاقب أهل الضلالة الذين قابلوا تلك المقاصد بالرفض والاستخفاف ٠٠ ؟!

الحقيقة الثانيـة

باب الكرم والرحمـة

وهـو تجـلي اسـم

« الكريم والرّحيم »

أمن الممكن : أن رب هذا العالم ومالكه الذي أظهر بآثاره : كرماً بلا نهاية ، ورحمة بلا نهاية ، وعزة بلا نهاية ، وغيرة بلا نهاية ، لا يقدّر مثوبة تليق بكرمه ورحمته للمحسنين ، ولا يقرر عقوبة تناسب عـزته وغيرته للمسيئين ؟ .. فلو أنعم الانسان النظر في سير الحوادث ابتـداءً من اضعف كائن حيّ وأشده عجزاً(١) وانتهاءً بأقوى كائن ، لوجد ان كل كائن يأتيه رزقه رغداً من كل مكان ، بل يَمنح ـ سـبحانه ـ أضعفَهم وأشدّهم عجزاً ألطف الارزاق وأحسنها ، ويسعف كل مريض بما يداويه ... وهكذا يجد كل ذي حاجة حاجته من حيث لا يحتسب ... فهـذه الضيافة الفاخرة الكريمة ، والاغداق المستمر ، والكرم السامي ، تدلّـنا بداهة : ان يداً ـ كريمة خالدة ـ هي التي تعمل وتدير الامور .

---

(١) ان الدليل القاطع على أن الرزق الحلال يُعطى حسب الافتقـار ، ولا يؤخذ بقوة الكائن وقدرته ، هو : سعة معيشة الصغار الذين لا طاقة لهم ولا حول ، وضيق معيشة الحيوانات المفترسة ، وبدانة الاسـماك البليدة وهـزال الثعالب والقردة ذوي الذكاء والحيل . فالرزق اذن يأتي متناسباً عكسياً مع الاختيار والقدرة ، أي : كلما اعتمد الكائن على ارادته وقدرته ابتلي بضيق المعيشة وتكاليفهـا ابتلاء اكثر .

فمثلاً : إن اكساء الأشجار جميعاً بحلل شبيهة بالسندس الخضر ـ كأنها حور الجنة ـ وتزيينها بمرصعات الازهار الجميلة والثمار اللطيفة، وتسخيرها لخدمتنا بانتاجها ألطف الاثمار المتنوعة والنعم في نهايات اغصانها التي هي أيديها اللطيفة ... وتمكيننا من جني العسل اللذيذ ـ الذي فيه شفاء للناس ـ من حشرة سامة ... وإلباسنا أجمل ثياب وألينها مما تحوكه حشرة بلا يد ... وادخار خزينة رحمة عظيمة لنا في بذرة صغيرة جداً ... كل ذلك يرينا بداهة : كرماً في غاية الجمال ، ورحمة في غاية اللطف .

ثم ، ان سعي جميع المخلوقات ، صغيرها وكبيرها ـ عدا الانسان والوحوش الكاسرة ـ لانجاز وظائفها بانتظام تام ودقة كاملة ـ ابتداء من الشمس والقمر والارض الى اصغر مخلوق ـ بشكل لا يتجاوز أحد حده قيد أنملة ، ضمن الطاعة التامة ، والانقياد الكامل المحفوفين بهيبة عظيمة ، يظهر لنا : ان هذه المخلوقات لا تتحرك ولا تسكن الا بأمر العظيم ذي العزة والجلال .

ثم ، ان عناية الامهات بأولادهن الضعاف العاجزين ـ سواء في النبات أو الحيوان أو البشر ـ عناية ملؤها الرأفة والرحمة(١) ، وتغذيتها بالغذاء

---

(١) نعم ان ايثار الاسد الجائع شبله الضعيف على نفسه بما يظفر به من قطعة لحم ، وهجوم الدجاج الجبان على الكلب والاسد حفاظاً على فراخها الصغيرة . وإعداد شجرة التين لصغارها ـ التي هي ثمارها ـ لبناً صافياً خالصاً من الطين ... كل ذلك يدل بداهة ـ لأهل البصائر ـ انها حصلت بأمر الرحيم الذي لا نهاية لرحمته ، والكريم الذي لا نهاية لكرمه ، والرؤوف الذي لا نهاية لرأفته وشفقته . وان قيام النباتات والحيوانات ـ التي لا وعي لها ولا شعور ـ بأعمال في منتهى الوعي والشعور والحكمة ، يبين بالضرورة أن عليماً مطلقاً وحكيماً مطلقاً هو الذي يسوقها الى تلك الاعمال ، وهي بأمره تأتمر .

النظيف السائغ من اللبن ، تريك عظمة التجليات ، وسعة الرحمة المطلقة ٠ فما دام رب هـذا العالم ومدبّره له هذا الكرم الواسع ، وهذه الرحمة التي لا منتهى لها ، وله الجلال والعزة المطلقان ، وان العزة والجلال المطلقين يقتضيان تأديب المستخفين ، وان الكرم الواسع المطلق يتطلب إكراماً غير متناه ، والرحمة التي وسعت كل شيء تستدعي احساناً يليق بها ، بينما لا يتحقق ــ من كل ذلك ــ في هذه الدنيا الفانية ، والعمر القصير الا جزء ضئيل جداً هو كقطرة من بحر ٠

فلابد ان تكون هناك دار سعادة تليق بذلك الكرم العميم ، وتنسجم مع تلك الرحمة الواسعة ٠ والا يلزم جحود هذه الرحمة المشهودة ، بما هو كانكار وجود الشمس التي يملأ نورُها النهارَ، لأن الزوال الذي لارجعة بعده يستلزم انتفاء حقيقة الرحمة من الوجود ، بتبديله الشفقة مصيبةً ، والمحبة حرقةً ، والنعمة نقمةً ، واللذة ألماً ، والعقل المحمود عضواً مشؤوماً ٠ وعليه لابد من دار جزاء تناسب ذلك الجلال والعزة ، وتنسجم معها ٠ لأنه غالباً ما يظل الظالمُ في عزته ، والمظلومُ في ذلته وخنوعه ، ثم يرحلان على حالهما بلا عقاب ولا ثواب ٠

فالامر اذن ليس إهمالاً قط ، والقضية لم تُهمل ولن تُهمل ، وإن أمهلَت الى محكمة كبرى ٠ بل قد تُعجَّل العقوبة في الدنيا ٠ فانزال العذاب في القرون الغابرة على أقوام عصت وتمردت يبين لنا : ان الانسان ليس متروكاً زمامه ، يسرح وفق ما يملى عليه هـواه ، بل هو معرّض دائما لصفعات ذي العزة والجلال ٠

نعم ، ان هذا الانسان الذي انيط به ــ من بين جميع المخلوقات ــ مهام عظيمة ، وزود باستعدادات فطرية كاملة ، إن لم يعرف ربه «بالايمان» بعد ان عرّف سبحانه نفسه اليه بمخلوقاته البديعة المنتظمة ٠٠٠ وان لم

ينل محبته بالتقرب اليـه بـ (العبادة) بعد ان تحبب اليه سبحانه بنفسه وعرّفها اليه بما خلق له من الثمار المتنوعة الجميلة الدالـة على رحمته الواسعة ··· وان لم يقم بالتوقير والاجلال اللائقين له « بالشكر والحمد » بعد ان أظهر سبحانه محبته له ورحمته عليه بنعمه الكثيرة ··· نعم ، إن لم يعرف هذا الانسان ربه هكذا ، فكيف يُترك سدى دون جزاء ، ودون ان يعدّ له ذو العزة والجلال داراً للعقاب ؟

وهل من الممكن ان لا يمنح ذلك الرب الرحيم دار ثـوابٍ وسـعادة ابدية ، لأولئك المؤمنين الذين قابلوا تعريفَ ذاته سبحانه لهم بمعرفتهم اياه بـ (الايمان) ، ومحبته لهم ، بالحب والتحبب له بـ (العبادة) ، ورحمته لهم بالاجلال والتوقير له بـ (الشكر) ؟

الحقيقة الثالثة

باب الحكمة والعدالة

وهـو تجـلي اسـم

« الحكيم والعـادل »

أمن الممكن(١) : ان الخالق ذي الجـلال الذي أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود ـ ابتداء من الذرات وانتهاء بالمجرات ـ بغاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان ·· ان لا يعامل بالاحسان من احتموا بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة والعدالة ، وان لا يجازى اولئك الذين عصوا بكفرهم وطغيانهم تلك الحكمة والعدالة ؟ · بينما الانسان لا يلقى ما يستحقه من الثواب أو العقاب في هذه الحياة الفانية على وجه يليق بتلك الحكمة وتلك العدالة الا نادراً ، بل يؤخر ، اذ يرحل اغلب أهل الضلالة

---

(١) ان عبارة « أمن الممكن ؟ » تتكرر كثيراً ، فهي تفيد غاية مهمة وهي : ان الكفر والضلال يتولدان غالباً من الاستبعاد ، أي يـرى الانسان ما لا يعتقده بعيداً عن ميزان العقل ، فيعدّه محالا ، ويبدأ بالانكار والكفر ·· ولكن هذه الكلمة العاشـرة (الحشر) أوضحت بادلـة قاطعة : ان الاستبعاد الحقيقي والمحال الحقيقي ، والبعد عن موازين العقل ، والصعوبة الحقة ، والمشـكلات العويصة التي هي بدرجـة الامتناع ، انما هي في الكفر ومنهج اهـل الضلالـة · وان الامكان الحقيقي ، والمعقولية التامة والسهولة الجارية مجرى الوجوب ، انما هي في طريق الايمان ، وجادة الاسلام ·
والخلاصة : ان الفلاسفة انما زلّوا الى الانكار نتيجة الاسـتبعاد · وهذه (الكلمة العاشرة) تبين بتلك العبارة : « أمن الممكن ؟ » أين يكمن الاستبعاد ، وتوجّه ضربة على افواههم ·

دون ان يلقوا عقابهم ، وينصب اكثر أهل الهداية دون أن ينالوا ثوابهم ..
فلابد ان تناط القضية بمحكمة عادلة ، وبلقاء آيل الى سعادة عظمى .

نعم ، انه من الواضح الجلي : ان الذي يتصرف في هذا الكون انما يتصرف فيه بحكمة مطلقة . أفتطلب برهاناً على هذا ؟ .. فانظر الى رعايته سبحانه للمصالح والفوائد في كل شيء ! .. ألا ترى ان اعضاء الانسان جميعاً ـ سواء العظام منها أو العروق وحتى خلاياه الجسمية ـ وكل جزء منه ومكان ، قد روعيت فيه فوائد وحكم شتى ، بل ان في اعضاء جسمه من الفوائد والاسرار بقدر ما تنتجه الشجرة الواحدة من الثمار ، مما يدلنا : ان يد الحكمة المطلقة هي التي تدير الامور . فضلاً عن وجود التناسق البديع في صنعة كل شيء والانتظام الكامل فيها مما يدلان على : ان حكمة مطلقة هي التي تدير الامور .

نعم ، ان تضمين الخطة الدقيقة لزهرة جميلة في بُذيرتها الصغيرة ، وكتابة صحيفة اعمال شجرة ضخمة ، وتاريخ حياتها ، وفهرس اجهزتها ، في نويّتها بقلم القَدَر المعنوى ... يرينا بوضوح : ان قلم حكمةٍ مطلقة هو الذي يتصرف في الأمر .

ثم ان وجود روعة الصنعة الجميلة وغاية حُسنها في خلقة كل شيء ، يظهر : ان صانعاً حكيماً مطلقاً هو صاحب هذا الابداع وهذه النقوش ... نعم ، ان ادراج فهرس الكائنات جميعاً ، ومفاتيح خزائن الرحمة كافة . ومرايا الاسماء الحسنى كلها ، في هذا الجسم الصغير للانسان ، لما يدل على الحكمة البليغة في الصنعة البديعة .... فهل من الممكن لمثل هذه الحكمة المهيمنة على مثل هذه الاجراءات والشؤون الربانية ان لا تحسن معاملة أولئك الذين استظلوا بظلها وانقادوا لها بالايمان ، وان لا تثيبهم إثابة أبدية خالدة ؟ .

وهل تريد برهاناً على انجاز الاعمال بالعدل والميزان ؟

ان منح كل شيء وجوداً بموازين حساسة ، وبمقاييس خاصة ، وإلباسه صورة معينة ، ووضعه في موضع ملائم ··· يبيّن بوضوح : ان الامور تسير وفق عدالة وميزان مطلقين ·

وكذا اعطاء كل ذي حق حقه وفق استعداده ومواهبه ، أي اعطاءه كل ما يلزم ، وما هو ضروري لوجوده ، وتوفير جميع ما يحتاج الى بقائه في أفضل وضع ··· يدلّ أن يداً للعدالة المطلقة هي التي تُسيّر الامور ·

وكذا الاستجابة المستمرة والدائمة لما يُسأل بلسان الاستعداد أو الحاجة الفطرية ، أو بلسان الاضطرار تُظهر : ان عدالةً مطلقة ، وحكمةً مطلقة هما اللتان تُجريان عجلة الوجود ·

فالآن ، هل من الممكن أن تهمل هذه العدالة ، وهذه الحكمة تلك الحاجة العظمى ـ حاجة البقاء ـ لأسمى مخلوق وهو الانسان ؟ في حين انهما تستجيبان أدنى حاجة لأضعف مخلوق ؟ فهل من الممكن ان تردّا أهم ما يرجوه الانسان واعظم ما يتمناه ، وان لاتقيا حشمة الربوبية وتتخلفا عن الاجابة لحقوق العباد ؟؟ ·

غير ان الانسان الذي يقضي حياة قصيرة في هذه الدنيا الفانية لاينال ولن ينال حقيقة مثل هذه العدالة · وانما تؤخّر الى محكمة كبرى · حيث تقتضي العدالة الحقة : أن يلاقي هذا الانسان الصغير ثوابه وعقابه لا على اساس صغره ، بل على اساس ضخامة جنايته ، وعلى اساس أهمية ماهيته ، وعلى اساس عظمة مهمته ··· وحيث أن هذه الدنيا العابرة بعيدة كل البعد عن أن تكون محلا لمثل هذه العدالة والحكمة بما يخص هذا الانسان ـ المخلوق لحياة ابدية ـ فلابد من جنة أبدية ، ومن جهنم دائمة للعادل الجليل ذي الجمال وللحكيم الجميل ذي الجلال ·

الحقيقة الرابعة

باب الجود والجمـال

وهـو تجـلي اسـم

« الجواد والجميل »

أمن الممكن : ان الجود والسخاء المطلقين ، والثروة التي لا تنضب ، والخزائن التي لا تنفد ، والجمال السرمدي الذي لا مثيل له ، والكمـال الابدي الذي لا نقص فيه ، ان لا يطلب دار سعادةٍ ومحل ضيافةٍ ، يخلد فيه المحتاجون للجود ، الشاكرون له ، والمشتاقون الى الجمال، المعجبون به؟

نعم ، ان تزيين وجه العالم بهذه المصنوعات الجميلة اللطيفة ، وجعل الشمس سراجاً ، والقمر نوراً ، وسطح الارض مائدة للنعم ، وملأها بألذ الأطعمة الشهية المتنوعة ، وجعل الاشجار أواني وصحافاً تتجدد مراراً كل موسم ... كل ذلك يظهر سخاء وجوداً لا حد لهما . فلابد ان يكون لمثل هذا الجود والسخاء المطلقين ، ولمثل هذه الخزائن التي لا تنفد ، ولمثل هذه الرحمة التي وسعت كل شيء ، دارُ ضيافة دائمة ، ومحل سعادة خالدة . يحوي ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين وتستدعي قطعاً : **ان يخلد المتلذذون في تلك الدار ، ويظلوا متلازمين لتلك السعادة ليبتعدوا عن الزوال والفراق، اذ كما ان زوال اللذة ألم فزوال الألم لذة كذلك ، فمثل هذا السخاء يأبى الايـذاء قطعـاً .**

أي أن الامر يقتضي وجود جنة أبدية ، وخلود المحتاجين فيها ، لأن الجود والسخاء المطلقين يتطلبان احساناً وانعاماً مطلقين ، والاحسان والانعام غير المتناهيين يتطلبان تنعماً وامتناناً غير متناهيين ، وهذا يقتضي خلود انعام مَن يستحق الاحسان اليه ، كي يظهر شكره وامتنانه بتنعمه الدائم ازاء ذلك الانعام الدائم ٠٠ وإلا فاللذة اليسيرة ـ التي ينغّصها الزوال والفراق ـ في هذه الفترة الوجيزة لا يمكن ان تنسجم ومقتضى هذا الجود والسخاء ٠

ثم انظر الى معارض اقطار العالم التي هي مشهد من مشاهد الصنعة الالهية ، وتدبّر ما تحمله النباتات والحيوانات على وجه الارض من اعلانات ربانية(١) وانصت الى الداعين الادلاء الى محاسن الربوبية وهم الانبياء عليهم السلام والاولياء الصالحون ، كيف انهم يرشدون جميعاً الناس لمشاهدة كمال صنعة الصانع ذي الجلال بتشهيرهم صنعته البديعة ويلفتون انظارهم اليها ٠

اذن ، فلصانع هذا العالم كمال فائق عظيم مثير للاعجاب ، خفي مستتر ، فهو يريد اظهاره بهذه المصنوعات البديعة ، لأن الكمال الخفي الذي لا نقص فيه ينبغي الاعلان عنه على رؤوس اشهادٍ مقدّرين مستحسنين معجبين به ٠ وان الكمال الدائم يقتضي ظهوراً دائماً ، وهذا بدوره يستدعي دوام المستحسنين المعجبين ، اذ المعجب الذي لا يدوم بقاؤه تسقط في نظره

---

(١) نعم ، ان الزهرة الجميلة ـ وهي في غاية الزينة والزخرفة ـ والثمرة المنضّدة ـ وهي في منتهى الاتقان والابداع ـ المعلقتين بخيط دقيق في نهاية اغصان يابسة يبوسة العظم ٠٠ لاشك انهما « لوحة اعلان » تجعل ذوي المشاعر يقرأون فيها محاسن صنعة الصانع المعجز الحكيم ! ٠٠ قس على النباتات الحيوانات ايضاً ٠

قيمة الكمال(١) ٠

ثم ان هذه الموجودات العجيبة البديعة الدقيقة الرائعة المنتشرة في هذا الكون تدل بوضوح ـ كدلالة ضوء النهار على وجود الشمس ـ على محاسن الجمال المعنوي الذي لا مثيل له ، وتريك ـ كذلك ـ لطائف الحسن الخفي الذي لا نظير له(٢) ٠ وان تجلي ذلك الحُسن الباهر المنزّه ، وذلك الجمال الزاهر المقدس يشير الى كنوز كثيرة خفية موجودة في الاسماء الحسنى ، بل في كل اسم منها ٠

ومثلما يطلب هذا الجمال الخفي السامي ـ الذي لا مثيل لـه ـ أن يرى محاسنه في مرآة عاكسة ، ويشاهد قِيَم حُسنه ومقاييس جماله في مرآة ذات مشاعر وأشواق اليه ، فانه يريد الظهور والتجلي ليرى جمالـه المحبوب ايضاً بأنظار الآخرين ٠ أي أن النظر الى جمال ذاته يستدعي أن يكون من جهتين :

الاولى : مشاهدة الجمال ـبالذاتـ في المرايا المختلفة المتعددة الألوان٠

والاخـرى : مشاهدة الجمال بنظر المشاهدين المشتاقين المعجبـين المستحسنين ٠

---

(١) نعم لقد ذَهَبَ مثلاً : أن حسناء بارعةَ الجمال طردت احدَ المعجبين بها ، فقال هذا المعجب مسلياً نفسه : تبّاً لها ما أقبحها ٠٠ منكراً جمال تلك الجميلة ٠

وذات يوم مرّ دُب تحت شجرة عنب ذات عناقيد لذيـذة ، فأراد أن يأكل من ذلك العنب الحلو ، ولمّا لم تصل يده اليه ، وعجز عن التسلق ، قال متمتماً : انه حامض ، فسلى نفسه ٠٠ ومضى في طريقـه ٠

(٢) ان الموجودات الشبيهة بالمرايا مع أنها تتعاقب بالزوال والفناء فان وجود تجليات الجمال نفسه والحسـن عينه في وجهها ، وفي التي تعقبها ، يدل على : أن ذلك الجمال ليس ملكاً لها ، بل هو آيات حسنٍ منزّه ، وامارات جمالٍ مقدّس ٠

أي أن الجمال والحسن يقتضيان الشهود والاشهاد (الرؤية والاراءة)، وهذا الشهود والاشهاد يستلزمان وجود المشاهدين المشتاقين والمستحسنين المعجبين ... **ولما كان الجمال والحسن خالدَين سرمديين فانهما يقتضيان خلود المشتاقين وديمومتهم . لأن الجمال الدائم لا يرضى بالمشتاق الزائل الآفل . لذا فالمشاهد الذي يشعر بالزوال ـ وقضى على نفسه بعدم العودة الى الحياة ـ فانه بمجرد تصوره الزوال تتحول محبته عداءً ، واعجابه استخفافاً ، واحترامه اهانةً ، لأن الشخص الاناني مثلما يعادي ما يجهله يعادي ما لا تصل اليه يده ايضاً ، فيضمر عداءً وحقداً وانكاراً لذلك الجمال الذي ينبغي أن يقابَل بما يستحقه من محبة بلا نهاية وشوق بلا غاية وإعجاب بلا حدّ . ومن هذا يُفهم سرّ كون الكافر عدواً لله سبحانه وتعالى.**

ولما كان ذلك الجود في العطاء غير المحدود ، وذلك الحسن في الجمال الذي لا مثيل له ، وذلك الكمال الذي لا نقص فيه .. كله يقتضي خلود الشاكرين ، وبقاء المشتاقين المستحسنين ، ونحن نشاهد رحلة كل شخص واختفاءه بسرعة في دار ضيافة الدنيا هذه ، دون أن يستمتع باحسان ذلك السخاء إلا نزراً يسيراً بما يفتح شهيته فقط ، ودون أن يرى من نور ذلك الجمال والكمال إلا لمحة خاطفة . اذن الرحلة منطلقة نحو متنزهات خالدة ومَشاهدَ أبدية .

الخلاصة : مثلما أن هذا العالم يدل بموجوداته دلالة قاطعة يقيناً على صانعه الكريم ذي الجلال ، فصفاته المقدسة سبحانه واسماؤه الحسنى تدل كذلك على الدار الآخرة بلا ريب وتظهرها ، بل تقتضيها .

الحقيقة الخامسة

باب الشفقة وعبودية محمد صلى الله عليه وسلم وهو تجلي اسم «المجيب والرّحيم»

أمن الممكن : أن الرب ذي الرحمة الواسعة والشفقة غير المتناهية الذي يبصر أخفى حاجة لأدنى مخلوق ، ويسعفه من حيث لا يحتسب برأفة متناهية ورحمة سابغة ، ويسمع أخفت صوت لأخفى مخلوق فيغيثه ، ويجيب كل داعٍ بلسان الحال والمقال ، فهل من الممكن يا ترى الا يقضي هذا الرب المجيب الرحيم أهم حاجة لأعظم عباده(١) وأحب خلقه اليه ، ولا يسعفه بما يرجوه منه ؟

---

(١) نعم ، ان الذي حكم ودام سلطان حكمه الفاً وثلاثمائة وخمسين سنة · والذي عدد امته اكثر من ثلثمائة وخمسين مليوناً ــ في اغلب الاوقات ــ وهم يجددون معه البيعة يومياً ، ويشهدون بعلو مكانته وينقادون لأوامره انقياداً تاماً عن رغبة وطواعية ··· هذا الذي تسربل نصف الأرض وخمس البشرية بسرباله المبارك ، وانطبع بطابعه المعنوي ، واصبحت ذاته الشريفة محبوبةَ قلوبهم ، ومربيةَ أرواحهم ، ومزكيةَ نفوسهم ··· لا ريب انه العبد الاعظم لرب العالمين سبحانه ··· هذا العبد الكريم الذي رحّب اغلب انواع الكائنات بمهمته ، ورسالته فحمل كلُ نوعٍ ثمرةً من ثمرات معجزاته ·· لاريب انه احب مخلوق لدى الخالق العظيم· وان البشرية التي ترجو الخلود بكل ما لها من استعداد وتطلب هذه الحاجة الملحة التي تنقذها من التردي الى دركات اسفل سافلين وترفعها الى درجات أعلى عليين ··· فهي حاجة عظمى ، ولا ريب أن من يتقدم بها ويرفعها الى قاضي الحاجات لهو اعظم العباد ·

فحُسن تربية صغار الحيوانات وضعافها ، واعاشتها بسهولة ولطف ظاهرين تريانِنا : ان مالك هذه الكائنات يسيّر هذا الكون بربوبية لا حدّ لرحمتها • فهل يعقل لهذه الربوبية المتصفة بكمال الشفقة والرأفة ان لا تستجيب لأجمل دعاء لأفضل مخلوق ؟ •••

وكما بينت هذه الحقيقة في « الكلمة التاسعة عشرة » أعيد بيانها هنا :

فيا صديقي الذي يسمعني مع نفسي ! لقد ذكرنا في الحكاية : ان هناك اجتماعاً في جزيرة ، وان مبعوثاً كريماً يرتجل خطبة هناك ، فحقيقة ما أشارت اليه الحكاية هي ما يأتي :

تعال ! لنتجرد من قيود الزمان ، ولنذهب بأفكارنا الى عصر النبوة ، وبخيالنا الى تلك الجزيرة العربية كي نحظى بزيارته صلى الله عليه وسلم ، وهو يزاول وظيفته بكامل عبوديته • انظر ! كيف انه ـ بما أتى به من رسالة وهداية ـ سبب السعادة الابدية ووسيلة الوصول اليها ، فانه صلى الله عليه وسلم ـ بدعائه وبعبوديته ـ هو الداعي لايجاد تلك السعادة وخلق الجنة •

انظر الى الذات النبوية المباركة إلامَ تدعو ••• انها تدعو الى السعادة الابدية في صلاة كبرى شاملة ، وفي عبادة رفيعة مستغرقة ، حتى أن الجزيرة العربية ، بل الارض برمّتها ، كأنها تصلي مع صلاة هذا الكريم ، وتبتهل الى الله بابتهاله الجميل ، ذلك لأن عبوديته صلى الله عليه وسلم كما انها تتضمن عبودية جميع أمته الذين اتبعوه ، فهي تتضمن كذلك ـ بسر الموافقة في الاصول ـ سرّ العبودية لجميع الانبياء عليهم السلام • فهو يؤم صلاة كبرى ـ ايّما صلاة ـ ويتضرع بدعاء ـ ويا له من تضرع رقيق ـ في خلق عظيم ، كأن الذين تنوروا بنور الايمان ـ من لدن آدم عليه السلام

الى الآن والى يوم القيامة ــ اقتدوا به ، وأمّنوا بدعائه(١) ٠

انظر ! كيف يدعـو الله حاجة عامـة كحاجة البقـاء والخلود ! ٠ هذه الدعوة التي لا يشترك فيها معه أهل الارض وحدهم ، بل أهل السموات أيضاً ، لا بل الموجودات كافة ٠ فتقول بلسان الحال : « آمين اللهم آمين استجب يا ربنا دعاءه ، فنحن نتوسل بك ونتضرع اليك مثله » ٠ ثم انظر ! انه يسأل تلك السعادة والخلود بكل رقة وحزن ، وبكل حب وود ، وبكل شوق والحاح ، وبكل تضرع ورجاء ، يُحزن الكون جميعاً ويبكيه فيُسهمه في الدعـاء ٠

ثم انظر وتأمل ! انه يدعو طالباً السعادة لقصد عظيم ، ولغاية سامية ٠٠ يطلبها لينقذ الانسان والمخلوقات جميعاً من التردي الى هاوية أسفل سافلين ــ وهو الفناء المطلق والضياع والعبث ــ ويرفعه الى أعلى عليين ــ وهو الرفعة والبقـاء وتقلّد الواجبات وتسلّم المسؤوليات ليكون أهـلاً لها ويرقى الى مرتبة المكتوبات الصمدانية ٠

---

(١) نعم ، ان جميع الصلوات التي تقيمها الامة كلها ، منذ المناجاة الاحمدية ــ عليه الصلاة والسلام ــ وجميعَ الصلوات والتسليمات التي تبعثها الى النبي صلى الله عليه وسلم ان هي الا تأمين دائم لدعائه ، ومشاركة عامة معه ، حتى أن كل صلاة وسلام عليه هو تأمين على ذلك الدعاء ٠ وان ما يأتيه كل فرد من أفراد الأمة من الصلوات في الصلاة ، ومـن الدعاء عقب الاقامة ــ حسب المذهب الشافعي ــ انما هو تأمين عـام على ذلك الدعاء الذي يدعو به للسعادة الابدية ٠ فالنبي صلى الله عليه وسلم يرجو في دعائه البقاء والسعادة الابدية ، وهذا هو ما يريده الانسان ويرجوه بكل ما أوتي من قوة بلسان حال فطرته ، لذا يؤمّن خلفه جميع الذين تنوّروا بنور الايمان ٠ فهل يمكن الاّ يقرن هـذا الدعاء بالقبول والاستجابة ؟!

انظر ! كيف انه يطلب الاستعانة مستغيثا ببكاء ، متضرعا راجياً من الاعماق ، متوسلاً بالحاح ٠٠ حتى كأنه يُسمع الموجودات جميعاً ، بـل السموات ، بل العرش ، فيهزّهم وجْداً وشوقاً الى دعائه ويجعلهم يرددون: آمين اللهم آمين(١) ٠

وانظر ! انه يسأل السعادة والبقاء الابدي ، ويرجوهما من قدير سميع كريم ، ومن عليم بصير رحيم يرى ويسمع أخفى حاجة لأضعف مخلوق فيتداركه برحمته ، ويستجيب له ، حتى إن كان دعاءً بلسان الحال ٠

نعم ، انه يستجيب له ببصيرة ورحمة ويغيثه بحكمة ، بما لا تبقى شبهةٌ بأن تلك الرعاية الفائقة ليست الاّ من لدن سميع بصير ، وان ذلك

---

(١) نعم ، انه لا يمكن بحال من الاحوال الاّ يطّلعَ ربُّ هذا العالم على افعال مَن هو بالمنزلة الرفيعة من خَلقه، في الوقت الذي يتصرف في الكون بكل علم وبصيرة وحكمة ، كما هو مشاهد ٠ ولا يمكن أيضاً بحال من الاحوال الا يبالي ذلك الرب العليم بدعاء هذا العبد المختار من عباده ، وهو المطلع على كل افعاله ودعواته ٠ كذلك لا يمكن بحال من الاحوال ان لا يستجيب ذلك الرب القدير الرحيم لتلك الدعوات وهو يرى من صاحبها كل التجرد والافتقار اليه ٠

نعم، لقد تبدل وضع العالم بنور النبي صلى الله عليه وسلم، وتبينت حقيقة الانسان والكون وماهيتهما بذلك النور ، وانكشفت بذلك الضياء ٠ فظهر : ان موجودات هذا الكون مكتوبات صمدانية تستقرئ الاسماء الحسنى ، ومأمورات موظفات ، وموجودات نفيسة ذات معنى ومغزى تليق بالبقاء ٠ فلولا ذلك النور لظل الكون مستوراً تحت ظلام الأوهام ، محكوماً عليه بالفناء المطلق والعدم ، تافهاً دون معنى ودون نفع ، بل كان عبثاً وسدى ووليدة الصدفة ٠ ولهذا السر فان كل شيء في الأرض والسماء ــ من الثرى الى الثريا ــ يستضيء بنوره صلى الله عليه وسلم ويبدي علاقته به مثلما يؤمّن الانسان لدعائه ــ ولا غرو ان روح العبودية المحمدية ومخها انما هو الدعاء ــ بل ان حركات الكون ووظائفه جميعاً ما هي الا نوع من الدعاء ، فنمو البذرة وتحولاتها مثلاً ما هو الا نوع من دعاء لبارئها لتصبح شجرة باسقة ٠

التدبير الدقيق ليس الا من عند كريم رحيم ·

نعم ، ان الذي يقود جميع بني آدم في مسيرة الحياة على الارض متوجهاً الى العرش الاعظم ، رافعاً يديه ، داعياً بدعاء شامل لحقيقة العبودية الأحمدية التي هي خلاصة عبودية البشرية ·· ترى ماذا يريد ؟ ماذا يريد شرف الانسانية ، وفخر الكائنات ، وفريد الازمان والاكوان ؟! · لننصت اليه ·· انظر ! ، **انه يسأل السعادة الابدية لنفسه ولامته ، انه يسأل الخلود في دار البقاء ، انه يسأل الجنة ونعيمها ·· نعم ، يسألها ويرجوها مع تلك الاسماء الالهية المتجلية بجمالها في مرآة الموجودات ·· انه يستشفع تلك الاسماء الحسنى كما ترى ·**

أرأيت ان لم يكن هناك شيء من الاسباب الموجبة التي لا تعد ولاتحصى للآخرة ولا شيء من الدلائل لوجودها ، أليس دعاء واحد من هذه الذات النبوية المباركة يكون سبباً كافياً لايجاد الجنة(١) التي هي سهلة على قدرة خالقنا الرحيم ، كسهولة اعادة الحياة الى الارض في ايام الربيع ؟ ·

نعم ان الذى جعل سطح الارض في الربيع مثالاً للحشر ، فاوجد فيه مئة ألف نموذج من نماذجه بقدرته المطلقة ، كيف يصعب عليه ايجاد الجنة ؟

---

(١) نعم ، ان ابداء نماذج الصنعة الدقيقة البديعة التي لا تعد ولا تحصى على وجه الارض الذي هو بمثابة صحيفة صغيرة بالنسبة الى عالم الآخرة الفسيح ، وكذا اراءة نماذج الحشر والقيامة في ثلثمائة ألف من مخلوقات ذات موازنة وانتظام، وكتابتها في تلك الصحيفة الواحدة بهذا النظام البديع ، لاشك انها أعقد من تهيئة الجنة الموسومة بالفخامة والرفعة في عالم البقاء الرحب ، لذا يمكن القول : ان خلق حدائق الربيع بما فيها من الازهار والرياحين امر يبعث على الحيرة والدهشة اكثر مما يبعثها خلق الجنة ، وبنسبة علو درجة الجنة ورفعة مكانتها على الربيع ·

... اذن فكما ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت سبباً لايجاد دار الامتحان هذه ، وصارت بياناً وايضاحاً لسر «لولاك لولاك لما خلقت الافلاك» فان عبوديته كذلك اصبحت سبباً لخلق تلك الدار السعيدة الابدية .
فهل من الممكن يا ترى لانتظام العالم البديع الذي حيّر العقول ، والصنعة المتقنة ، وجمال الربوبية الشاملة في اطار رحمته الواسعة ، ان يقبل قبحاً فظيعاً وظلماً شنيعاً، وفوضىضارب اطنابه، بعدم استجابة ذلكالدعاء. أي أن لا يراعي ولا يسمع ولا ينجز اكثر الرغبات اهمية ، واشدها ضرورة في حين انه يراعي باهتمام بالغ ابسط الرغبات وأصغرها ، ويسمع أخفت الاصوات وادقها ويقضي لكل ذي حاجة حاجته ! كلا ثم كلا ألف ألف مرة ، ان مثل هذا الجمال يأبى التشوه ولن يكون قبيحاً(١) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم اذن كما انه قد فتح برسالته باب الحياة الدنيا ، فانه صلوات الله وسلامه عليه قد فتح ايضاً بعبوديته باب الآخرة . عليه صلوات الرحمن ملء الدنيا ودار الجنان .

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك ، ذلك الحبيب الذي هو سيد الكونين ، وفخر العالمين ، وحياة الدارين ، ووسيلة السعادتين ، وذو الجناحين ، ورسول الثقلين وعلى آله وصحبه اجمعين ، وعلى اخوانه من النبيين المرسلين . آمين .

---

(١) نعم ، ان انقلاب الحقائق محال بالاتفاق . واشد محالاته هو انقلاب الضد الى ضده . وضمن عدم امكان انقلاب الحقائق الى اضدادها حقيقةٌ لا تقبل الضد قطعاً ، وهي انقلاب الشيء مع احتفاظه بماهيته الى عين ضده ، كأن ينقلب الجمال المطلق ـ مع احتفاظه بهذا الجمال ـ الى القبح الحقيقي ! فتحول جمال الربوبية الواضح والظاهر ظهوراً جلياً الى ضده مع بقائه على ماهيته هو أشد محالاً واكثر عجباً في احكام العقل .

الحقيقة السادسة

باب العظمة والسرمدية

وهـو تجـلي اسـم

« الجليـــل والباقي »

أمن الممكن : أن الرب الجليل الذي يدير الموجودات ويسخّرها ـ من الشموس الى الاشجار والى الذرات والى ما هو اصغر منها ـ كأنها جنود مجندة ، أن يقصر نشر سلطانه على مساكين فانين يقضون حياة موقتة في دار ضيافة الدنيا هذه ، ولا ينشيء مقراً سامياً سرمدياً ومدار ربوبية جليلة باقية لـه ؟!

نعم ، ان ما نشاهده في هذا الكون من الاجراءات الجليلـة الضخمـة امثال تبدل المواسم ••• ومن التصرفات العظيمة امثال تسيير النجوم ••• ومن التسخيرات المدهشة امثال جعل الارض مهاداً والشمس سـراجاً ••• ومن التحولات الواسعة امثال إحياء الأرض وتزيينها بعد جفافها وموتها •• ليبيّن لنا بجلاء : ان وراء الحجاب ربوبية جليلـة عظيمة تحكم وتهيمن بسلطانها الجليل • فمثل هذه السلطة الربانية تستدعي رعايا يليقون بها ، ومظاهر تناسبها • بينما ترى : ان مَن لهم افضل المزايا وأجمعها من الرعايا والعباد قد اجتمعوا موقتاً منهوكين في مضيف الدنيا ، والمضيف نفسه يملأ ويفرغ يومياً ، والرعايا لا يلبثون فيه إلا بمقـدار أداء تجـربة مهماتهم في ميدان الاختبار هذا • والميـدانَ نفسَه يتبدل كل ساعة ، فالرعايا يقفون دقـائق معـدودة لرؤيـة ما في معـارض سـوق العـالم من نماذج الآلاء

الثمينة للخالق ذي الجلال ، ومشاهدين ـ لأجل التجارة ـ بدائع صنعه سبحانه في هذا المعرض الهائل ، ومن ثم يغيبون ، والمعرض نفسه يتبدل ويتغير كل دقيقة !· فمَن يرحل فلا عودةً له ، والقابل راحل· فهذا الوضع يبين بوضوح وبشكل قاطع ان : وراء هذا المضيف الفاني ، وخلف هذا الميدان المتغير ، وبعد هذا المعرض المتبدل قصور دائمة تليق بالسلطنة السرمدية ، ومساكن ابدية ذات جنان ، وخزائن ملأى بالاصول الخالصة الراقية للنماذج التي نراها في الدنيا ، **لذا فالدابُ والسعي هنا انما هو للتطلع الى ما هناك ·· والاستخدام هنا لقبض الاجرة هناك · فلكلٍ حسب استعداده واجتهاده سعادة وافرة ان لم يفقدها ·**

نعم ، انه محال ان تظل مثل هذه السلطنة السرمدية مقصورة على هؤلاء الفانين الاذلاء ···

فانظر الى هذه الحقيقة من خلال منظار هذا المثال : هب انك تسير في طريق ، وتشاهد أن عليها (فندقاً فخماً) ، بناه ملك عظيم لضيوفه ، وهو ينفق مبالغ طائلة لتزيينه وتجميله كي يُدخل البهجة في قلوب ضيوفه ، ويعتبروا بما يرون · بيد أن اولئك الضيوف لا يتفرجون إلا على أقل القليل من تلك التزيينات ، ولا يذوقون الا أقل القليل من تلك النعم ، حيث لا يلبثون الا قليلاً ومن ثم يغادرون الفندق دون ان يرتووا ويشبعوا· سوى ما يلتقطون من صور أشياء في الفندق ـ بما يملكون من آلة تصوير ـ وكذلك يفعل عمال صاحب الفندق وخدامه حيث يلتقطون حركات هؤلاء النزلاء وسكناتهم بكل دقة وأمانة ويسجلونها · فها أنت ذا ترى ان الملك يهدّم يومياً اغلب تلك التزيينات النفيسة ، مجدداً إياها بأخرى جديدة للضيوف الجدد · أفبعد هذا يبقى لديك شك من : ان الذي بنى هذا الفندق على قارعة هذه الطريق يملك قصوراً دائمة سامية ، وله خزائن

زاخرة ثمينة لا تنفد ، وهو ذو سخاء دائم لا ينقطع • وان ما يبديه من الكرم في هذا الفندق انما هو لاثارة شهية ضيوفه الى ما عنده من اشياء ، ولتنبيه رغباتهم وتحريكها لما أعدّ لهم من هدايا ؟ •

فان تأملت ـ على ضوء هذا ـ في أحوال فندق الدنيا هذه ، وانعمت النظر فيها بوعى تام فستفهم الاسس التسعة الآتية :

الأساس الاول : انك ستفهم : ان هذه الدنيا ـ الشبيهة بذلك الفندق ـ ليست لذاتها • فمحال أن تتخذ لنفسها ـ بنفسها ـ هذه الصورة والهيئة• وانما هي دار ضيافة تملأ وتفرغ ، ومنزل حلّ وترحال ، أنشئت بحكمة لقافلة الموجودات والمخلوقات •

الأساس الثاني : وستفهم : ان ساكني هذا الفندق هم قومٌ ضيوف مسافرون ، وان ربهم الكريم يدعوهم الى دار السلام •

الاساس الثالث : وستفهم : ان التزيينات في هذه الدنيا ليست لأجل التلذذ والتمتع فحسب ، اذ لو اذاقتك اللذة ساعة ، تذيقك الالم ـ بفراقها ـ ساعات وساعات ، وهي تذيقك مثيرة شهيتك دون ان تشبعك ، لقصر عمرها أو لقصر عمرك ، فهي لا تكفي للشبع • اذن فهذه الزينة الغالية الثمن والقصيرة العمر هي للعبرة(١) ، وللشكر ، وللحض على الوصول الى تناول اصولها الدائمة ، ولغايات اخرى سامية •••

---

(١) على الرغم من ان كل شيء دقيق الصنع بديع التصوير جميل التركيب هو غالٍ ونفيس ، فان عمرَه قصير ، ووجودَه لا يستغرق إلا زمناً يسيراً • فهو اذن نماذج وصور لأشياء اخرى ليس الا •
ولما كان هناك ما يشبه توجيه الانظار الى الحقائق الاصيلة ، فلا غرابة اذن في ان يقال : ان زينة الحياة الدنيا ما هي الا نماذج لنعم الجنة التي هيأها الرب الرحيم بفضله ولطفه لمن أحب من عباده، بل الحقيقة هي هذه فعلاً •

الاساس الرابع : وستفهم : ان هذه الزينة في الدنيا (١) انما هي بمثابة صور ونماذج للنعم المدخرة لدى الرحمة الالهية في الجنة للمؤمنين ٠

---

(١) نعم ، ان لوجود كل شيء غايات ، ولحياته اهداف ونتائج ، فهي ليست بمنحصرة ـ كما يتوهم أهل الضلالة ـ على الغايات والمقاصد التي تتوجه الى الدنيا أو التي تنحصر في الوجود نفسه ، حتى يمكن ان يتسلل اليها العبث وعدم القصد ٠ بل ان غايات وجود كل شيء ومقاصد حياته ثلاثة اقسام :

أولها وهو أسماها وهو المتوجه الى صانعه سبحانه وتعالى أي : عرض دقائق صنع كل شيء وبديع تركيبه أمام أنظار الشاهد الازلي سبحانه ـ بما يشبه الاستعراض الرسمي ـ حيث تكفى لذلك النظر حياة الشيء ولو للحظة واحدة ٠ بل قد يكفيه استعداده لابراز قواه الكامنة ـ الشبيهة بنيته ـ ولما يبرز الى الوجود٠ ومثاله: المخلوقات اللطيفة التي تزول بسرعة ، والبذور التي لم يتسن لها اعطاء ثمارها وازاهيرها ، تفيد هذه الغاية وتعبّر عنها تماما ، فلا يطرأ عليها عبث ولا انتفاء النفع البته ٠ اي ان اولى غايات كل شيء هو: اعلانه واظهاره ـ بحياته ووجوده ـ معجزات قدرة صانعه ، وآثار صنعته ، امام انظار عناية مليكه ذي الجلال ٠

والقسم الثاني من غاية الوجود وهدف الحياة هو : التوجه الى ذوي الشعور : أي ان كل شيء بمثابة رسالة ربانية زاخرة بالحقائق ، وقصيدة تنضح لطفاً ورقةً ، وكلمة تفصح عن الحكمة ، يعرضها الباري عز وجل أمام أنظار الملائكة والجن والحيوان والانسان ، ويدعوهم الى التأمل ، أي أن كل شيء هو محل مطالعة وتأمل وعبرة لكل من ينظر اليه من ذوي الشعور ٠

القسم الثالث من غاية الوجود وهدف الحياة هو : التوجه الى ذات نفسه : كالتمتع والتلذذ وقضاء الحياة والبقاء فيها بهناء ، وغيرها من المقاصد الجزئية ٠ فمثلاً : ان نتيجة عمل الملاح في سفينة السلطان العظيمة تعود فائدتها اليه وهي اجرته ، وهي بنسبة واحد في المائة ، بينما تسع وتسعين بالمائة من نتائج السفينة تعود الى السلطان الذي يملكها ٠٠٠ وهكذا إن كانت الغاية المتوجهة الى كل شيء بذاته زالى دنياه واحدة ، فالغاية المتوجهة الى بارئه سبحانه هي تسع وتسعون٠

الأساس الخامس : وستفهم : ان هـذه المصنوعات الفانيـة ليست للفنـاء ، ولم تخلق لتشاهَد حيناً ثم تذهب هباءً ، وانما اجتمعت هنـا ـ واخذت مكانها المطلوب ـ لفترة قصيرة كي تُلتقط صورها ، وتُفهم معانيها ، وتُدوّن نتائجها ، ولتُنسج لأهل الخلود مناظر أبدية دائمة · ولتكون مداراً لغايات اخرى في عالم البقاء ·

ويفهم من المثال الآتي ، كيف ان هذه الاشياء لم تخـلق للفناء بل للبقاء ، بل ان فناءها الظاهري ليس الا ترخيصاً لها ، واطلاقاً لسراحها ،

ففي تعدد الغايات هذا يكمن سر التوفيق بين « الحكمة والجـود » أي بين « الاقتصاد والسـخاء المطلقين » اللذين يبدوان كالضديـن والنقيضين · وتوضيح ذلك :

انه اذا لوحظت غاية بمفردها فان الجود والسخاء يسودان آنذاك، ويتجلى اسم « الجواد » ، فالثمار والحبوب حسب تلك الغاية المفردة الملحوظة لا تعد ولا تحصى · أي أنها تفيد جوداً مطلقاً وسخاء لا حصر له · أما اذا لوحظت الغايات كلها فان الحكمة هي التي تظهر وتهيمن، ويتجلى اسم « الحكيم » · فتكون الحِكَم والغايات المتوخـاة مـن ثمرة لشجرة واحدة بعدد ثمار تلك الشجرة ، فتتوزع هذه الغايات على الاقسام الثلاثة التي سبق ذكرها · فهذه الغايات العامة تشير الى حكمة غير نهائية ، واقتصاد غير محدد ، فتجتمع الحكمة المطلقة مع الجود المطلق اللذان يبدوان كالضدين ·

ومثلاً : ان احدى الغايات من الجيش هي المحافظة على الأمن والنظام، فاذا نظرت الى الجيش بهذا المنظار فسترى ان هناك عـدداً فـوق المطلوب منه · اما اذا نظرنا اليه مع اخذنا الغايات الاخـرى بنظـر الاعتبار كحفظ الحدود ، ومجاهدة الاعداء وغيرها ، عند ذلك نرى ان العدد يكاد يفي بالحد المطلوب ··· فهو اذن توازن دقيق بميزان الحكمة · اذ تجتمع «حكمة» الحكومة مع «عظمتها» · وهكذا يمكن القول في هذه الحالة : أن الجيش ليس فوق الحد المطلوب ·

بعدما انهت مهامّها · وكيف أن الشيء يفنى من جهة الا انه يبقى من جهات كثـيرة :

تأمل في هذه الزهرة ـ وهي كلمة من كلمات القدرة الالهية ـ انها تنظر الينا مبتسمة لنا لفترة قصيرة ، ثم تختفي وراء ستار الفناء · فهي كالكلمة التي تتفوه بها ، التي تودع آلافاً من مثيلاتها في الآذان وتبقي معانيها بعدد العقول المنصتة لها ، وتمضي بعد أن أدت وظيفتها ، وهي افادة المعنى · فالزهرة ايضاً ترحل بعد أن تودع فيحافظة كل من شاهد صورتها الظاهرة، وبعد أن تودع في بذيراتها ماهيتها المعنوية ، فكأن كل حافظة وكل بذرة ، بمثابة صور فوتوغرافية لحفظ جمالها وصورتها وزينتها ، ومحل إدامة بقائهـا ·

فلئن كان المصنوع وهو في أدنى مراتب الحياة يعامل مثل هذه المعاملة للبقاء ، فما بالك بالانسان الذي هو في أسمى طبقات الحياة ، والذي يملك روحاً باقية ألا يكون مرتبطاً بالبقاء والخلود ؟ ولئن كانت صورة النبات المزهر المثمر ، وقانون تركيبه ـ الشبيه جزئياً بالروح ـ باقيـة ومحفوظـة في بُذيراتها بكل انتظام ، في خضم التقلبات الكثيرة ، أفلا يُفهم : كم تكون روح الانسان باقية ، وكم تكون مشدودة مع الخلود ، علماً انها قانـون أمري ، وذات شعور نوراني ، تملك ماهية راقية ، وذات حيـاة ، وذات خصائص جامعة شاملة ، وقد البست وجوداً خارجياً !!

الاساس السادس : وستفهم : ان الانسان لم يترك حبله على غاربه ، ولم يترك طليقاً ليرتع اينما يريد ، بل تُسجّل جميـع اعمالـه وتُلتقط صورها ، وتدوّن جميع أفعاله ليحاسب عليها ·

الاساس السابع : وستفهم : أن الموت والاندثار الذي يصيب ـ في

الخريف ـ مخلوقات الربيع والصيف الجميلة ، ليس فناءً نهائياً ، واعداماً أبدياً ، وانما هو اعفاء من وظائفها بعد اكمالها وايفائها ، وتسريح منها(١)، وهو افساح مجالٍ وتخليةُ مكانٍ لما سيأتي في الربيع الجديد من مخلوقات جديدة . فهو تهيؤ وتهيأة لما سيحل من الموجودات المأمورة الجديدة .

وهو تنبيه رباني لذوي المشاعر الذيـن أنستّهم الغفلـة مهامهم ، ومنعهم السكر عن الشكر .

الاساس الثامن : وستفهم ان الصانع السرمدي لهذا العـالم الفاني له عالم غير هذا، وهو عالم باقٍ خالد ، ويشوّق عباده اليه، ويسوقهم اليه.

الاساس التاسع : وستفهم : ان الرحمن الرحيم جل جلاله سـوف يكرم في ذلك العالم الفسيح عباده المخلصين بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .. آمنـا .

---

(١) نعم ، لابد من زوال الثمار والازهار والاوراق المحمولة على اغصان ورؤوس الاشجار ـ التي هي خزينة الارزاق للرحمة الالهية ـ بعد أن أدت وظيفتها وهرمت ، كيلا يوصّد الباب امام ما يسيل وراءها ويخلفها ، وإلاّ صارت سداً منيعاً أمام سعة الرحمة وحائلاً أمـام مهام أخواتها ، فضلاً عن انها هي نفسها تذوي وتذبل بزوال شبابها. وهكذا ، فالربيع أشبه بتلك الشجرة المثمرة ، المظهرة للحشـر . وعالم الانسان ـ في كل عصر ـ هو شجرة مثمرة ذات حكمة وعبرة ، والارض جميعاً شجرة قدرةٍ بديعةٍ والدنيـا كذلك شـجرة مثيرة للحيرة ترسل ثمارها الى سوق الآخرة ..

الحقيقة الســابعة

باب الحفظ والحفيظيــة

وهــو تجــلي اســم

« الحفيظ والرّقيب »

أمن الممكن : ان الحفيظ والرقيب الذي يحفظ بانتظام وميزان ما في السماء والارض ، وما في البر والبحر ، من رطب ويابس فلا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً الا احصاها ، ان لا يحافظ ولا يراقب اعمال الانسان الذي يملك فطرة سامية ، ويشغل رتبة الخلافة في الارض ، ويحمل مهمــة الامانــة الكبرى ؟ . فهل يمكن ان لا يحافظ على افعالــه التي تمس الربوبية ؟ ولا يفرزها بالمحاسبة ؟ ولا يزنها بميزان العدالة ؟ و لايجازي فاعلها بما يليق به من ثواب وعقاب ؟؟ . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

نعم ، ان الذي يدير هذا الكون هو الذي يحافظ على كل شيء فبــه ضمن نظام وميزان . والنظام والميزان ما هما إلا مظهران من مظاهر العلم والحكمة مع الارادة والقدرة ، لاننا نشاهد أن أيّ مصنوع كان لم يخلق ولا يخلق إلاّ في غاية الانتظام والميزان ، وان الصور التي يغيّرها طــوال حياته كما انها في انتظام دقيق فان مجموعها ايضاً ضمن نظام متقن محكم . ونرى ايضاً ان الحفيظ ذا الجلال يحفظ شتى الصور لكل شيء ــ حالمــا يختم عمره مع انتهاء وظيفته ويرحل من عالم الشهادة ــ يحفظها سبحانه

في الاذهان التي هي أشبه ما تكون بالالواح المحفوظة(١) وفي ما تشبه بمرايا مثالية ، فيكتب معظم تاريخ حياته في بنوره وينقشه نقشاً في ثماره . فيديم حياته ويحفظها في مرايا ظاهرة وباطنة ... فمحافظة البشر ، وثمر الشجر ، ونواة الثمر ، وبذر الزهر .. كل ذلك يبين عظمة احاطة الحفيظية.

ألا ترى : كيف يُحافَظ على كل شيء مزهر ومثمر في الربيع الشاسع العظيم ، وكيف يُحافظ على جميع صحائف اعماله الخاصة به ، وعلى جميع قوانين تركيبه ونماذج صوره ، كتابةً في عدد محدود من البُذيرات . حتى اذا ما أقبل الربيع تُنشر تلك الصحائف وفق حساب دقيق يناسبها فيخرج الى الوجود ربيعاً هائلاً في غاية الانتظام والحكمة . الا يبين هذا مدى نفوذ الحفظ والرقابة ، ومدى قوة احاطتهما الشاملة ؟ فلئن كان الحفظ الى هذا الحد من الاتقان والاحاطة فيما لا أهمية له وفي أشياء مؤقتة عادية ، فهل يُعقل عدم الاحتفاظ بأعمال البشر ، التي لها ثمار مهمة في عالم الغيب وعالم الآخرة وعالم الأرواح ، ولدى الربوبية المطلقة ؟! فهل يمكن اهمالها وعدم تدوينها ؟ حاشَ لله ..

نعم ، يفهم من تجلي هذه الحفيظية ، وعلى هذه الصورة الواضحة : ان لمالك هذه الموجودات عنايةً بالغةً لتسجيل كل شي وحفظه ، وضبطِ كل ما يجري في ملكه ، وله منتهى الرعاية في حاكميته ، ومنتهى العناية في سلطنة ربوبيته ، بحيث انه يكتب ويستكتب أدنى حادثة وأهون عمل محتفظاً بصور كل ما يجري في ملكه في محافظَ كثيرة . فهذه المحافظة الواسعة الدقيقة تدل على: انه سيُفتح ـ بلاشك ـ سجلٌ لمحاسبة الاعمال، ولاسيما لهذا المخلوق المكرّم والمعزّز والمفطور على مزايا عظيمة ، ألا وهو الانسان. فلابدّ أن تدخل اعماله التي هي عظيمة ، وافعاله التي هي مهمة ضمن ميزان

---

(١) انظر حاشية الصورة السابعة .

حساس ومحاسبة دقيقة ، ولابد أن تنشر صحائف اعماله ٠

فيا ترى هل يمكن أن يقبل عقل بأن يُترك هذا الانسان الذي اصبح مكرّماً بالخلافة والامانة ، والذي ارتقى الى مرتبة القائد والشاهد على المخلوقات بتدخله في شؤون عبادة أغلب المخلوقات وتسبيحاته باعلانه الوحدانية في ميادين المخلوقات الكثيرة وشهوده الشؤون الكلية للربوبية ٠ فهل يمكن ان يُترك هذا الانسان يذهب الى القبر لينام هادئاً دون أن ينبّه ليُسأل عن كل صغيرة وكبيرة من اعماله ، ودون ان يُساق الى المحشر ليحاكم في المحكمة الكبرى ؟ ٠ كلاّ ثم كلاّ ! ٠

ثم ، كيف يمكن ان يذهب هذا الانسان الى العدم ، وكيف يمكن أن يتوارى في التراب فيفلت من يد القدير ذي الجلال الذي تشهد جميع الوقائع – التي هي معجزات قدرته – في الازمنة الغابرة على قدرته العظيمة لما سيحدث من الممكنات في الازمنة(١) الآتية ٠ تلك القدرة التي تحدث

---

(١) ان الماضي الممتد منذ الآن الى بدء الخليقة مليء بالوقائع والاحداث ، فكل يوم ظهر الى الوجود منه سطر ، وكل سنة منه صحيفة ، وكل عصر منه كتاب ، رَسَمه قلمُ القَدَر ، وخطت فيه يدُ القدرة آياتها المعجزة بكل حكمة وانتظام ٠

وان المستقبل الذي يمتد من الآن الى يوم القيامة ، والى الجنة ، والى الابد ، انما هو ضمن الممكنات ، أي : كما ان الماضي هو وقائع وقعت فعلاً ، فالمستقبل كذلك ممكنات يمكن ان تقع فعلاً ٠ واذا قوبلت سلسلتا هذين الزمانين فلا ريب في : أن الذي خلق الأمس بما فيه من الموجودات ، قادرٌ على خلق الغد ، بما سيكون فيه من الموجودات ٠ ولا ريب كذلك : ان موجودات وخوارق الزمن الماضي – الذي هو معرض العجائب والغرائب – هي معجزات القدير ذي الجلال وهي تشهد شهادة قاطعة على : ان سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق المستقبل كله ، وما فيه من الممكنات كلها ، وان يعرض فيه عجائبه ومعجزاته كافة ٠

الشتاء والربيع الشبيهين بالقيامة والحشر ؟ **ولما كان الانسان لا يحاسب - في هذه الدنيا - حساباً يستحقه ، فلابدّ انه سيذهب يوماً الى محكمة كبرى وسعادة عظمى ٠**

نعم ، فكما ان الذي يقدر على خلق تفاحة واحدة لابد ان يكون قادراً على خلق تفاح العالم جميعاً ، بل على ايجاد الربيع الكبير ٠ إذ من لا يقدر على خلق الربيع لا يمكن ان يخلق تفاحة ، لأن تلك التفاحة تنسج في ذلك المصنع ٠ ومَن يقدر على خلق تفاحة واحدة فهو اذن **قادرٌ على خلق الربيع : فالتفاحة مثال مصغّر للشجرة ، وللحديقة ،** بل هي مثال الكائنات جميعاً ٠ والتفاحة من حيث الصنعة والاتقان **هي معجزة الصنعة ، حيث تتضمن بذورها تاريخ حياة شجرتها ٠ فالذي يخلقها خلقاً بديعاً كهذا لا يعجزه شيء مطلقاً ٠**

وهكذا ، فالذي يخلق اليومَ هو قادر على خلق يوم القيامة ، والذي يحدث الربيع قادر على احداث الحشر ، والذي اظهر عوالم الماضي وعلقها على شريط الزمان - بكل حكمة وانتظام - لاشك انه يقدر على ان يظهر عوالم اخرى ويعلقها بخيط المستقبل ، وسيظهرها حتماً ٠ **وقد أثبتنا بشكل قاطع في كثير من (الكلمات) ولاسيما في (الكلمة السادسة والعشرين) بأن : « من لا يخلق كل شيء لا يقدر** على خلق شيء ٠ **ومن يخلق شيئاً واحداً يقدر على أن يخلق كل شيء ٠ وكذلك لو أُحيل ايجاد الاشياء الى ذات واحدة لسهلت كل الاشياء كالشيء الواحد ، ولو أُسند الى الاسباب المتعددة والى الكثرة** لأصبح ايجاد الشيء الواحد صعباً بمقدار ايجاد الاشياء كلها الى درجة الامتناع والمحال ... » ٠

الحقيقة الثامنة

باب الوعد والوعيد
وهـو تجـلي اسـم
« الجميــل والجليل »

أمن الممكن : أن مبدع هذه الموجودات وهو العليم المطلق والقـدير المطلق ان لا يوفي بما أخبر به مكرراً الانبياء عليهم السلام كافة بالتواتر ، وشهد به الصدّيقون والاولياء كافة بالاجماع من وعد ووعيد ، مُظهراً عجزاً وجهلاً بذلك ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . علماً ان الأمور التي وعـد بها ، وأوعدها ، ليست عسيرة على قدرته مطلقاً ، بل هي يسيرة وهينة ، وسهلة كسهولة اعادة الموجودات التي لا تحصى للربيع السابق بذواتها(١) أو بمثلها(٢) في الربيع المقبل . أما الوفاء بالوعد فكما هو ضروري لنـا ولكل شيء كذلك ضروري لسلطنة ربوبيته . بعكس اخلاف الوعد فهو مضاد لعزة قدرته ، ومنافٍ لاحاطة علمه ، حيث لا يتأتى اخلاف الوعـد إلا من الجهل أو العجز .

فيـا أيها المنكر ! هل تعلم مدى حماقة ما ترتكب من جناية عظمى بكفرك وانكارك ! انك تصدّق وهمَك الكاذب ، وعقلك الهاذي ونفسَك

---

(١) كجذور وأصول الاعشاب والاشجار .
(٢) كالاوراق والثمـار .

الخدّاعة ، وتكذب مَن لا يضطر الى اخلاف الوعد ، ولا الى خلافه قط ، بل لا يليق الاخلاف بعزته وعظمته قطعاً ٠ وإن جميع الاشياء وجميع المشهودات تشهد على كون وعده حقاً وصدقاً !! ٠٠ انك ترتكب جناية عظمى لا نهاية لها مع صغرك المتناهي ، فلا جرم انك تستحق عقاباً عظيماً أبدياً ٠٠ ولقياس عِظَم ما يرتكبه الكافر من جناية فقد وَرَد في الحديث الصحيح :

« **ضرسُ الكافر يوم القيامة مثل اُحُد** » ٠٠٠ ان مَثَلك هو كمثَل ذلك المسافر الذي يغمض عينيه عن نور الشمس ويتبع ما في عقله من خيـال ، ثم يريد أن ينوّر طريقه المخيف بضياء ما في عقله من نور كنور اليراع ! ٠

فما دام الله سبحانه قد وعد ، وهـذه الموجـودات كلماته الصادقة بالحق ، وهذه الحوادث في العالم آياته الناطقة بالصدق ، فانـه سيوفي بوعده حتما ، وسيفتح محكمة كبرى ، وسيهب سعادة عظمى ٠

الحقيقة التاسـعة

باب الاحياء والاماتة

وهـو تجـلي اسـم

« ألحي القيوم والمحيي والمميت »

أمن الممكن : ان الذي أظهر قدرته باحياء الأرض الضخمة بعد موتها وجفافها ، وبعث آكثر من ثلاثمائة ألف نوع من انواع المخلوقات ونشره لها ، مع ان بعث كل نوع عجيب كأعجوبة بعث البشر ··· والذي أظهر احاطة علمه ضمن ذلك الاحياء بتمييزه كل كائن من بين ذلك الامتزاج والتشابك ··· والذي وجّه أنظار جميع عباده الى السعادة الأبدية بما وعدهم الحشر في جميع أوامره السماوية ··· والذي أظهر عظمة ربوبيته بجعله الموجودات متكاتفة مترافقة ، فادارها ضمن أمره وارادته ، مسخراً افرادها ، معاوناً بعضها بعضاً ··· والذي أولى البشر الاهمية القصوى ، بجعله أجمع ثمرة في شجرة الكائنات ، وألطفها وأشدها رقة ودلالاً ، واكثرها مستجاباً للدعاء ، مسخراً له كل شيء ، متخذاً إياه مخاطباً ··· أفمن الممكن لمثل هذا القدير الرحيم ، وهل يمكن لمثل هذا العليم الحكيم الذي أعطى هذه الأهمية للانسان ان لا يأتي بالقيامة ؟ ولا يحدث الحشر أو يعجز عنه ! حاشَ لله !! وان لا يبعث البشر أو يعجز عنه ؟ وهل يمكن ان لا يفتح أبواب المحكمة الكبرى فلا يخلق الجنة والنار ؟؟! ··· تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ·

نعم ، ان الرب المتصرف في هذا العالم جلّ جلاله يُحدث في هـذه الأرض المؤقتة الضيقة ، في كل عصر ، وفي كل سنة ، وفي كل يوم نماذج وأمثلة كثيرة واشارات عديدة للحشر الاكبر • فعلى سبيل المثال :

انه يحشر في بضعة ايام في حشـر الربيع ويبعث اكثر من ثلاثمائة ألف نوع من أنواع النباتات والحيوانات من صغير وكبير ، فيحيي جـذور الاشجار والاعشاب ، ويعيد بعض الحيوانات بعينها كما يعيد أمثال بعضها الآخر • ومع أن الفروق المادية بين البُذيرات المتناهية في الصغر جـزئية جداً ، إلا أنها تُبعث وتُحيا بكل تميّز ، وتشخّص في منتهى السرعة في ستة أيام ، أو ستة أسابيع ، وفي منتهى السهولة والوفرة ، وبانتظام كامل وميزان دقيق ، رغم اختلاطها وامتزاجها • فهل يمكن لمن يقوم بمثل هذه الاعمال ان يصعب عليه أمر ، أو يعجز عن خلق السموات والارض في ستة أيام ، أو لا يستطيع ان يحشر الانسان بصيحة واحدة ؟ •• سبحان الله عما يصفـون •

فيا ترى ان كان ثمة كاتبٌ ذو خوارق يكتب ثلاثمائة ألف كتاب مُسحت حروفُها ومسخت ، يكتبها في صحيفة واحدة دون اختلاط ولا سهو ولا نقص وفي غاية الجمال ، ويكتبها جميعاً معاً خـلال ساعة واحـدة !! وقيل لك : ان هذا الكاتب سيكتب من حفظه في دقيقة واحدة كتابك الذي وقع في الماء وهو من تأليفه • فهل يمكنك أن ترد عليه وتقول : لا يستطيع • لا أصدق ؟! ••• أو أن سلطاناً ذا معجزات يرفع الجبال وينسفها ويغيّر المدن بكاملها ويحول البحر براً ، باشارة منه ، اظهاراً لقدرته وجعلها آيـة للناس•••فبينما ترى منه هذه الاعمال اذا بصخرة عظيمة قد تدحرجت الى وادٍ وسدّت الطريق على ضيوفه ، وقيل لك : ان هذا السلطان سيميط حتماً تلك الصخرة من على الطريق ويحطمها مهما كانت كبيرة ، حيث

لا يمكن ان يدع ضيوفه في الطريق ··· كم يكون جوابك هذياناً أو جنوناً اذا ما أجبته بقولك : لا ، لا يستطيع أن يفعل ؟!! ··· أو ان قائداً يمكنه أن يجمع من جديد افراد جيشه الذي شكله بنفسه في يوم واحد · وقيل لك : ان هذا سيجمع افراد تلك الفرق وسينضوي تحت لوائه أولئك الذين سرّحوا وتفرّقوا ، بنفخة من بوق ، فاجبته : لا ، لا أصدق ! · عندها تفهم أن جوابك هذا ينبىء عن تصرف جنوني ، أيّ جنون !!

فاذا كنت قد فهمت هذه الامثلة الثلاثة فتأمل في النقاش الازلي ذلكم البارىء المصور سبحانه وتعالى الذي يكتب امام انظارنا بأحسن صورة وأتمها بقلم القدرة والقدر اكثر من ثلاثمائة ألف نوع من الانواع على صحيفة الارض ، مبدلاً صحيفة الشتاء البيضاء الى الاوراق المتفتحة للربيع والصيف ، يكتبها متداخلة دون اختلاط ، يكتبها معاً دون مزاحمة ولا التباس ، رغم تباين بعضها مع البعض الآخر في التركيب والشكل · فلا يكتب خطأ مطلقاً · أفيمكن أن يُسأل الحفيظ الحكيم الذي أدرج خطة روح الشجرة الضخمة ومنهاجها في بذرة متناهية في الصغر ـ كأنها نقطة ـ محافظاً عليها : كيف سيحافظ على أرواح الاموات ؟ · أم هل يمكن أن يُسأل القدير ذو الجلال الذي يُجري الارض في دورتها بسرعة فائقة ، كيف سيزيلها من على طريق الآخرة ، وكيف سيدمّرها ؟؟ أم هل يمكن أن يُسأل ذو الجلال والاكرام الذي أوجد الذرات من العدم ونسّقها بأمر « كن فيكون » في أجساد جنود الاحياء ، فأنشأ منها الجيوش الهائلة ، كيف سيجمع ـ بصيحة واحدة ـ تلك الذرات الاساسية التي تعارفت فيما بينها ، وتلك الاجزاء الاساسية التي انضوت تحت لواء فرقة الجسد ونظامه ؟؟

فها أنت ذا ترى بعينيك كم من نماذج وأمثلة وامارات للحشر

شبيهة بحشر الربيع ، قد أبدعها الباري سبحانه وتعالى في كل موسم ، وفي كل عصر ، حتى ان تبديل الليل والنهار ، وانشاء السحاب الثقال وافناءها من الجو ، نماذج للحشر وأمثلة وامارات عليه ·

واذا تصورت نفسك قبل ألف سنة مثلا ، وقابلت بين جناحي الزمان الماضي والمستقبل ، ترى أمثلة الحشر والقيامة ونماذجها بعــدد العصور والايـــام ·

فلو ذهبت الى استبعاد الحشر الجسماني وبعث الاجساد ـ متوهماً انه بعيد عن العقل ـ بعد ما شاهدت هذا العدد الهائل من الامثلة والنماذج، فستفهم مدى ما ترتكبه من حماقة ·

تأمل ماذا يقول الدستور الاعظم حول هذه الحقيقة [**فانظُر إلى آثار رحمتِ الله كيف يحيي الارض بعدَ مَوتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شي قدير**]

الخـلاصة :

ليس هناك شيء يحول دون حدوث الحشـر ، بل كل شيء يقتضيه ويستدعيه · نعم ! ان الذي يحيي هذه الارض الهائلـة ـ وهي معـرض العجائب ـ ويميتها كأدنى حيوان ، والذي جعلها مهـداً مريحاً وسـفينة جميلة للانسان والحيوان ··· وجعل الشمس ضياءً وموقداً لهذا المضيف ··· وجعل الكواكب السيّارة والنجوم اللامعة مساكن طائرات للملائكة··· ان ربوبية خالدة جليلة الى هذا الحدّ ، وحاكمية محيطة عظيمة الى هـذه الدرجة ، لا تستقران ولا تنحصران في أمور الدنيا الفانية الزائلة الواهية السيالة التافهة المتغيرة · فلابد أن هناك داراً اخرى باقية ، دائمة ، جليلة ، عظيمة ، مستقرة · فهو ـ سبحانه ـ يدعونا ويسوقنا الى السعي الدائب لأجل تلك الممالك والديار · يشهد على ذلك اصحـاب الارواح النـيرة ،

وأقطاب القلوب المنورة ، وأرباب العقول النورانية ، الذين نفذوا من الظاهر الى الحقيقة ، والذين نالوا شرف التقرب اليه سبحانه · فهم يبلغوننا - متفقين - انه سبحانه قد أعد ثواباً وجزاءاً ، وأنه يَعِد وعداً قاطعاً ، ويوعد وعيداً جازماً ··

فاخلاف الوعد لا يمكن أن يدنو الى جلاله المقدّس ، لانه ذلّة وتذلل· وأما اخلاف الوعيد فهو ناشيء إما عن العفو أو العجز ··· والحال أن الكفر جناية مطلقة(١) لا يستحق العفو والمغفرة · أما القدير المطلق فهو قدوس منزّه عن العجز ، وأما المخبرون والشهود فهم متفقون اتفاقاً كاملاً على اساس هذه المسألة رغم اختلاف مسالكهم ومناهجهم ومشاربهم · فهم من حيث الكثرة بلغوا درجة التواتر ، ومن حيث النوعية بلغوا قوة الاجماع ، ومن حيث المنزلة فهم نجوم البشرية وهداتها وأعزة القوم وقرة عيون الطوائف · ومن حيث الاهمية فهم في هذه المسألة « أهل اختصاص وأهل اثبات » · ومن المعلوم ان حكم اثنين من أهل الاختصاص - في علم أو صنعة - يرجّح على آلاف من غيرهم ، وفي الاخبار والرواية يرجح قول اثنين من المثبتين على آلاف النافين المنكرين ، كما في اثبات رؤية هلال

---

(١) نعم ان الكفر اهانة وتحقير للكائنات جميعاً ، حيث يتهمها بالعبثية وانتفاء النفع · وهو تزييف تجاه اسماء الله الحسنى ، لأنه ينكر تجلي تلك الاسماء على مرايا الموجودات · وهو تكذيب للمخلوقات جميعاً حيث يردّ شهادة الموجودات على الوحدانية · لذا فانه يفسد قوى الانسان واستعداداته الى درجة يسلب منه القدرة على تقبل الخير والصلاح · فالكفر اذن ظلم عظيم جداً ، اذ هو تجاوز لحقوق جميع المخلوقات ، ولجميع الاسماء الحسنى ، لذا فحفاظاً على هذه الحقوق ، ولعدم تمكن نفس الكافر من قبول الخير ، اقتضى حرمانه من العفو · والآية الكريمة : (ان الشِركَ لظُلم عظيم) تفيد هذا المعنى ·

رمضان ، حيث يرجح شاهدان مثبتان ، بينما يضرب بكلام آلاف من النافين عـرض الحائط .

والخلاصة : ليس في العالم خبر أصدق من هذا ، ولا قضية أصوب منها ، ولا حقيقة أظهر منها ولا أوضح . فلا شك ان الدنيا مزرعة ، والمحشر بيدر ، والجنة والنار مخزنان .

الحقيقة العاشـرة

باب الحكمة والعناية والرحمة والعدالة

وهـو تجـلي اسـم

« الحكيم والكريم والعادل والرّحيم »

أمن الممكن : ان مالك الملك ذا الجلال الذي اظهر في دار ضيافة الدنيا الفانية هذه ، وفي ميدان الامتحان الزائل هذا ، وفي معرض الارض المتبدل هذا ، هذا القدر من آثار الحكمة الباهرة ، وهذا المدى من آثار العناية الظاهرة ، وهذه الدرجة من آثـار العدالة القاهرة ، وهذا الحد من آثـار الرحمة الواسعة · أفمن الممكن ان لا ينشىء في عالم ملكه وملكوته مساكن دائمة ، وسكنة خالدين ، ومقامات باقية ، ومخلوقات مقيمين · فتذهب جميع الحقائق الظاهرة لهذه الحكمة ، ولهذه العناية ، ولهذه العدالـة ، ولهـذه الرحمة ، هباءً منثوراً ؟ ·

وهل يعقل : أن الحكيم ذا الجلال الذي اختار هذا الانسان ـ من بين المخلوقات ـ وجعله مخاطباً كلياً له ، ومرآة جامعة لاسـمائه الحسنى ، ومتدبّراً لما في خزائن رحمته من ينابيع ، ومتذوقاً لها ومتعرفاً اليها ، والذي عرّف سبحانه ذاته الجليلة له بجميع أسمائه الحسنى ، فأحبّه وحبّبه اليه ··· أفمن المعقول بعد كل هذا ان لا يُرسل هذا « الحكيم » جل وعلا ذلك الانسان المسكين الى مملكته الخالدة تلك ؟ ولا يسعده في تلك الـدار السعيدة بعد أن دعاه اليها ؟؟

أم هل يعقل : أن يحمّل كل موجود وظائف جمّة ـ ولو كان بذرة ـ بثقل الشجرة ، ويركّب عليه حِكَماً بعدد أزهارها ، ويقلّده مصالح بعدد ثمارها ، ثم يجعل غاية الوجود لتلك الوظائف والحكم والمصالح جميعها مجرّد ذلك الجزء الضئيل المتوجه الى الدنيا • أي يجعل غاية الوجود هي البقاء في الدنيا فقط ، الذي لا أهمية لـه حتى بمثقال حبة من خردل ؟؟ ولا يجعل تلك الوظائف والحِكَم والمصالح بذوراً لعالم المعنى ، ولا مزرعةً لعالم الآخرة لتثمر غاياتها الحقيقية اللائقة بها •

وهل يعقل : ان تذهب جميع هذه المهرجانات الرائعة والاحتفالات العظيمة هباءً بلا غاية ، وسدى بلا معنى وعبثاً بلا حكمة ؟!

أم هل يعقل : ان لا يوجّه كلها الى عالم المعنى وعالم الآخرة لتظهر غاياتُها الأصيلة وأثمارُها الجديرةُ بها ؟!

نعم ! أمن الممكن : ان يظهر كل ذلك خلافاً للحقيقة ، خلافاً لأوصافه المقدّسة وأسمائه الحسنى : « الحكيم ، الكريم ، العادل ، الرحيم » كلا •• ثـم كـلا •

أم هل من الممكن : أن يكذّب سبحانه حقائقَ جميع الكائنات الدالة على أوصافه المقدّسة من حكمةٍ وعدلٍ وكرمٍ ورحمة ، ويردّ شهادةَ الموجودات جميعاً ، ويبطل دلائل المصنوعات جميعاً ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً •

وهل يقبل العقل : أن يعطي للانسان اجرة دنيوية زهيـدة ، زهادة شعرة واحدة ، مع انه اناط به وبحواسه مهاماً ووظائف هي بعدد شعرات رأسه ؟ فهل يمكن ان يقوم بمثل هذا العمل الذي لا معنى له ولا مغزى خلافاً لعدالته الحقة ، ومنافاة لحـكمته الحقيقية ؟ سـبحانه وتعالى عما يقولون علـواً كبـيراً •

أو من الممكن : أن يقلّد سبحانه كل ذي حياة ، بل كل عضو فيه ـ كاللسان مثلاً ـ بل كل مصنوع ، من الحِكَم والمصالح بعدد أثمار كل شجرة ـ مُظهراً حكمته المطلقة ـ ثم لا يمنح الانسان البقاء والخلود ، ولا يهب له السعادة الأبدية التي هي أعظم الحِكَم ، وأهم المصالح ، والزم النتائج ؟ فيترك البقاء واللقاء والسعادة الابدية التي جعلت الحكمة حكمة ، والنعمة نعمةً ، والرحمة رحمةً ، بل هي مصدر جميع الحكم والمصالح والنعم والرحمة ومنبعها · فهل يمكن ان يتركها ويهملها ويسقط تلك الأمور جميعها الى هاوية العبث المطلق ؟ ويضع نفسه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ بمنزلة من يبني قصراً عظيماً يضع في كل حجر فيه آلاف النقوش والزخارف ، وفي كل زاوية فيه آلاف الزينة والتجميل ، وفي كل غرفة فيه آلاف الآلات الثمينة والحاجيات الضرورية ·· ثم لا يبني له سقفاً ليحفظه ؟! فيتركه ويترك كل شيء للبلى والفساد ! حاشَ لله ·· ان الخير يصدر من الخيّر المطلق ، وان الجمال يصدر من الجميل المطلق ، فلن يصدر من الحكيم المطلق العبث البتة ·

نعم ! ان كل من يمتطي التاريخ ويذهب خيالاً الى جهة الماضي سيرى :

انه قد ماتت بعدد السنين منازلُ ومعارضُ وميادينوعوالمُ مما يشبه منزل الدنيا ، وميدان الابتلاء ، ومعرض الاشياء ، في وقتنا الحاضر · فرغم ما يُرى من اختلاف بعضها عن البعض الآخر صورةً ونوعاً ، فانها تتشابه في الانتظام ، والابداع ، وابراز قدرة الصانع وحكمته ·

وسيرى كذلك ـ ما لم يفقد بصيرته ـ : ان في تلك المنازل المتبدلة ، وفي تلك الميادين الزائلة ، وفي تلك المعارض الفانية ··· من الأنظمة الباهرة الساطعة للحكمة ، والاشارات الجليّة الظاهرة للعناية ، والامارات القاهرة المهيمنة للعدالة ، والثمار الواسعة للرحمة ما سيدرك يقيناً أنه :

لا يمكن ان تكون حكمة" اكمل من تلك الحكمة المشهودة ، ولا يمكن ان تكون عناية أروع من تلك العناية الظاهرة الآثار ، ولا يمكن أن تكون عدالة أجل من تلك العدالة الواضحة أماراتها · ولا يمكن ان تكون رحمة أشمل من تلك الرحمة الظاهرة الثمار ·

واذا أفترض المحال ، وهو أن السلطان السرمدي – الذي يدير هذه الامور ، ويغير هؤلاء الضيوف والمستضافات باستمرار – ليست له منازل دائمة ، ولا أماكن راقية سامية ، ولا مقامات ثابتة ، ولا مساكن باقية ، ولا رعايا خالدون ، ولا عباد" سعداء في مملكته الخالدة · يلزم عندئذ انكار الحقائق الاربعة : (الحكمة ، والعدالة ، والعناية ، والرحمة) التي هي عناصر قوية شاملة كالنور ، والهواء ، والماء ، والتراب ، وانكار وجودها الظاهر ظهور تلك العناصر · لانه من المعلوم ان هذه الدنيا وما فيها لا تفي لظهور تلك الحقائق ، فلو لم يكن هناك في مكان آخر ما هو اهل لها ، فيجب انكار هذه الحكمة الموجودة في كل شيء أمامنا – بجنون من ينكر الشمس الذي يملأ نورها النهار – وانكار هذه العناية التي نشاهدها دائماً في أنفسنا وفي اغلب الاشياء · وانكار هذه العدالة الجلية الظاهرة الامارات(١) ·

---

(١) نعم ، ان العدالة شقان احدهما مثبت ايجابي ، والآخر منفي سلبي ·
أما الايجابي فهو : اعطاء كل ذي حق حقه · فهذا القسم من العدالة محيط وشامل لكل ما في هذه الدنيا لدرجة البداهة · فكما اثبتنا في « الحقيقة الثالثة » بان ما يطلبه كل شيء وما هو ضروري لوجوده وادامة حياته – التي يطلبها بلسان استعداده وبلغة حاجاته الفطرية وبلسان اضطراره من الفاطر ذي الجلال – يأتيه بميزان خاص دقيق ، وبمعايير ومقاييس معينة ، أي أن هذا القسم من العدالة ظاهر ظهور الوجود والحياة ·
أما القسم السلبي فهو : تأديب غير المحقين ، أي احقاق الحق بانزال الجزاء والعذاب عليهم · فهذا القسم وان كان لا يظهر بجلاء في هذه الدنيا الا ان هنالك اشارات وامارات تدل على هذه الحقيقة =

وانكار هذه الرحمة التي نراها في كل مكان • وكذلك يلزم ان يعتبر صاحب ما نراها من الاجراءات الحكيمة والافعال الكريمة ، والآلاء الرحيمة (حاشَ لله ثم حاشَ لله) لاهياً لاعباً ظالماً غدّاراً ــ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ــ وهذا هو انقلاب الحقائق باضدادها ، وهو منتهى المحال ، حتى السوفسطائيون الذين انكروا وجود انفسهم لم يدنوا الى تصوّر هذا المحال بسهولة •

والخلاصة : أنه ليست هناك علاقة أو مناسبة بين ما يُشاهَد في شؤون العالم من تجمعات واسعة للحياة ، وافتراقات سريعة للموت ، وتكتلات ضخمة ، وتشتتات سريعة ، واحتفالات هائلة ، وتجليات رائعة•• وبين ما هو معلوم لدينا من نتائج جزئية ، وغايات تافهة مؤقتة ، وفترة قصيرة تعود الى الدنيا الفانية • لذا فالربط بينهما بعلاقة ، أو ايجاد مناسبة ، لا تنسجم مع عقل ولا توافق مع حكمة ، اذ يشبه ذلك ربط حِكَم هائلة وغايات عظيمة ــ كالجبل ــ الى حصاة صغيرة جداً ، وربط غاية تافهة جزئية مؤقتة ــ بحجم الحصاة ــ بجبل عظيم !! •

أي إنّ عدم وجود هذه العلاقة بين هذه الموجودات وشؤونها وبين غاياتها التي تعود الى الدنيا ، يشهد شهادة قاطعة ، ويدل دلالة واضحة على : **أن هذه الموجودات متوجهة الى عالم المعنى ، حيث تعطي ثمارها الثمينة اللائقة هناك ، وان انظارها متطلعة الى الاسماء الحسنى ، وأن غاياتها ترنو الى ذلك العالم • ومع ان بذورها مخبوءة تحت تراب الدنيا الاّ ان سنابلها تبرز في عالم المثال • فالانسان ــ حسب استعداده ــ يَزرع ويزرع هنا ويحصد هناك في الآخرة •**

= خذ مثلاً سوطَ العذاب وصفعات التأديب التي نزلت بقوم عاد وثمود بل على الاقوام المتمردة في عصرنا هذا ، مما يظهر للحدس القطعي هيمنة العدالة السامية وسيادتها •

نعم ! لو نظرت الى وجوه الموجودات المتوجهة الى الاسماء الحسنى والى عالم الآخرة لرأيت :

ان لكل بذرة ــ وهي معجزة القدرة الالهية ــ غايات كبيرة كبر الشجرة • وان لكل زهرة ــ وهي كلمة الحكمة(١) ــ معاني جمّة بمقدار أزهار الشجر • وان لكل ثمرة ــ وهي معجزة الصنعة وقصيدة الرحمة ــ من الحِكَم ما في الشجرة نفسها • أما من جهة كونها أرزاقاً لنا ، فهي حكمة واحدة من بين الوف الحكم ، حيث أنها تنهي مهامها ، وتوفى مغزاها فتموت وتدفن في معداتنا •

فما دامت هذه الاشياء الفانية تؤتي ثمارها في غير هذا المكان ، وتودع هناك صوراً دائمة ، وتعبّر عن معانٍ خالدة ، وتؤتي اذكارها وتسابيحها الخالدة السرمدية هناك • فالانسان اذن يصبح انساناً حقاً طالما يتأمل وينظر الى تلك الوجوه المتوجهة نحو الخلود • وعندها يجد سبيلاً من الفاني الى الباقي •

إذن هناك قصد آخر ضمن هذه الموجودات المحتشدة والمتفرقة التي تسيل في خضم الحياة والموت ، حيث ان احوالها تشبه ــ ولا مؤاخذة في الامثال ــ احوالاً وأوضاعاً تُرتّب للتمثيل ، فتُنفق نفقات باهظة لتهيئة اجتماعات وافتراقات قصيرة ، لأجل التقاط الصور وتركيبها لعرضها على الشاشة بصورة دائمة • وهكذا فان احدى غايات قضاء الحياة ــ الشخصية والاجتماعية ــ في فترة قصيرة في هذه الدنيا هي : أخذ الصور ، وتركيبها ،

---

(١) فان قلت : لِمَ تورد اغلب الامثلة من الزهرة والبذرة والثمرة ؟
الجواب : : ــ لأنها ابدع معجزات القدرة الالهية واعجبها وألطفها ، ولمّا عجز اهل الضلالة والطبيعة والفلسفة المادية من قراءة ما خطّته قلمُ القدر والقدرة فيها من الكتابة الدقيقة ، تاهوا وغرقوا فيها ، وسقطوا في المستنقع الآسن للطبيعة •

وحفظ نتائج الاعمال ، ليحاسب امام الجمع الاكبر ، وليعرض امام العرض الاعظم ، وليهيأ استعداده ومواهبه للسعادة العظمى • فالحديث الشريف : « **الدنيا مزرعة الآخرة** » يعبّر عن هذه الحقيقة •

وحيث أن الدنيا موجودة فعلاً ، وفيها هذه الآثار الظاهرة للحكمة والعناية والرحمة والعدالة ، فالآخرة موجودة حتماً ، وثابتة بقطعية ثبوت هذه الدنيا •

ولما كان كل شيء في الدنيا يتطلع – من جهة – الى ذلك العالم ، فالسير اذن والرحلة الى هناك ، لذا فانكار الآخرة هو انكار للدنيا وما فيها • وكما ان الأجل والقبر ينتظران الانسان ، فان الجنة والنار كذلك تنتظرانه وتتراصدانه •

الحقيقــة الحادية عشرة

باب الانســانية

وهــو تجــلي اســم

« الحق »

أمن الممكن : ان الحق سبحانه وهو المعبود الحق ان يخلق هذا الانسان ليكون اكرمَ عبدٍ لربوبيته المطلقة ، واكثر اهمية لربوبيته العامة للعالمين ، واكثر المخاطبين ادراكاً وفهماً لأوامره السبحانية ، وفي أحسن تقويمٍ حتى اصبح مرآة جامعة لأسمائه الحسنى ولتجلي الاسم الاعظم ولتجلي المرتبـة العظمى لكل اسم من هذه الاسماء الحسنى · وليكون أجملَ معجزات القدرة الالهية ، واغناها اجهزةً وموازينَ لمعرفة وتقدير ما في خزائن الرحمة الالهية من كنوز ، واكثرهـا فاقـة وحاجـة الى نعمه التي لا تحصى · واكثـر المخلوقات تألماً من الفناء · وأزيدها شوقاً الى البقاء · واكثرها لطافة ورقة وفقراً وحاجة · مع انه من جهة الحياة الدنيا اكثر تعاسة ، ومن جهـة الاستعداد الفطري أسمى صورة واعلاها ··· فهل من الممكن ان يخـلق المعبود الحق الانسانَ بهذه الماهية ثم لا يبعثه الى ما هو مؤهـَّل له ومشتاق اليه من دار الخلود ؟! فيمحق الحقيقة الانسانية ويعمل ما هو منافٍ كلياً لأحقيته سبحانه ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ··

وهل يعقل : أن الحاكم بالحق والرحيم المطلق الذي وهب هذا الانسان استعداداً فطرياً سامياً ما يمكّنه على حمل الامانة الكبرى ـ التي أبت

السموات والارض والجبال ان يحملنها ـ أي خَلَقه ليعرف صفات خالقه سبحانه الشاملة المحيطة وشؤونه الكلية وتجلياته المطلقة ، بموازينه الجزئية وبمهاراته الضئيلة ٠٠٠ والذي برأه ألطف المخلوقات واعجزها وأضعفها ٠ فسخر له جميعَها من نبات وحيوان ، حتى نصبه مشرفاً ومنظماً ومتدخلاً في انماط تسبيحاتها وعباداتها ٠٠ والذي جعله نموذجاً ـ بمقاييس مصغّرة ـ للاجراءات الالهية في الكون ، ودلالاً لاعلان الربوبية المنزهة ـ فعلاً وقولاً ـ على الكائنات ، حتى منحه منزلة اكرم من منزلة الملائكة ، رافعاً اياه الى مرتبة الخلافة ٠٠ فهل يمكن : ان يهب سبحانه للانسان كل هذه الوظائف ثم لا يَهَبَ له غاياتها ونتائجها وثمارها وهي السعادة الابدية ؟ فيرميه الى درك الذلّة والمسكنة والمصيبة والاسقام ، ويجعلـه أتعس مخلوقاتـه ؟؟ ويجعل هذا العقل ـ الذي هو هـدية مباركة نورانية لحكمته سبحانه ٠ ووسيلة لمعرفة السعادة ـ آلةَ تعذيب وشؤم ، خلافاً لحـكمته المطلقة ، ومنافاة لرحمته المطلقة ؟؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ٠

الخلاصة : كما اننا رأينا في الحكاية أن في هوية الضابط ودفتر خدمته رتبته ، ووظيفته ، ومرتّبه ، وأفعاله ، وعتاده ، واتضح لدينا أن ذلك الضابط لا يعمل ولا يسعى لأجل هذا الميدان المؤقت ، بل لما سيرحل اليه من تكريم وإنعام في مملكة مستقرة دائمة ٠ وكذلك فان ما في هوية قلب الانسان من لطائف ، وما في دفتر عقله من حواس ، وما في فطرته من أجهزة وعتاد متوجهة جميعاً ومعاً الى السعادة الابدية ، وما منحت له الا لأجل تلك السعادة الأبدية ٠ وهذا ما يتفق عليه أهـل التحقيق والكشف ٠ فعلى سبيل المثال :

لو قيل لقدرة التخيل في الانسان ـ وهي أحد وسائل العقل وأحـد مصوّريه ـ ستُمنح لك سلطنةَ الدنيا وزينتَها مع عمر يزيد على مليون

سنة ولكن مصيرك الفناء والعدم حتماً . نراها تتأوه . وتتحسر . (ان لم يتدخل الوهم وهوى النفس) . أي ان أعظم فانٍ _ وهو الدنيا وما فيها _ لا يمكنه ان يُشبع اصغر آلة في الانسان وهي الخيال !

يظهر من هذا جلياً : ان هذا الانسان الذي له هذا الاستعداد الفطري. والذي له آمالٌ تمتد الى الابد ، وافكارٌ تحيط بالكون ، ورغباتٌ تنتشر في ثنايا انواع السعادة الابدية . هذا الانسان انما خُلق للابد ، وسيرحل اليه حتماً. فليست هذه الدنيا الا مستضافاً مؤقتاً ، وصالة انتظار الآخرة.

الحقيقة الثانية عشرة
باب الرسالة والتنزيل
وهـو تجـلي
« بسم الله الرّحمن الرّحيم »

أمن الممكن : أن الذي أيّد كلامَه جميع الأولياء الصالحين المعزّزين بكشفياتهم وكراماتهم ، وشهد بصدقه جميعُ العلماء والاصفياء المستندين على تدقيقاتهم وتحقيقاتهم ... ذلكم هو الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي فتح بما أوتي من قوة طريق الآخرة وباب الجنة ، مصدّقاً بألفٍ من معجزاته الثابتة ، وبآلاف من آيات القرآن الكريم الثابت اعجازُه بأربعين وجهاً . فهل من الممكن ان تسد اوهام هي أوهى من جناح ذبابة ما فتحه هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من طريق الآخرة وباب الجنـة ؟!

* * *

● وهكذا لقد فُهم من الحقائق السابقة ان مسألة الحشر حقيقة راسخة قوية بحيث لا يمكن ان تزحزحها أيّة قوة مهما كانت حتى لو استطاعت أن تزيح الكرة الارضية وتحطمها ، ذلك لان : الله سبحانه وتعالى يقرّ تلك الحقيقة بمقتضى أسمائه الحسنى جميعها وصفاتـه الجليلـة كلها . وان رسـوله الكريم صلى الله عليه وسلم يصدّقها بمعجزاته وبراهينه كلها . والقـرآن

الكريم يثبتها بجميع آياته وحقائقه · والكون يشهد لها بجميع آياته التكوينية وشؤونه الحكيمة ·

فهل من الممكن يا ترى ان يتفق مع واجب الوجود سبحانه وتعالى جميعُ الموجودات ـ عدا الكفار ـ في حقيقة الحشر ، ثم تأتي وسوسةٌ وشبهة شيطانية واهية ضعيفة لتزيح هذه الحقيقة الراسخة الشامخة وتزعزعها ؟! كلا · · · ثم كلا · · ·

ولا تحسبنّ ان دلائل الحشر منحصرة في ما بحثناه من الحقائق الاثنتي عشرة ، بل كما ان القرآن الكريم وحدَه يعلّمنا تلك الحقائق ، فانه يشير كذلك بآلاف من الاوجه والامارات القوية الى أن خالقنا سينقلنا من دار الفناء الى دار البقاء ·

ولا تحسبنّ كذلك ان دلائل الحشر منحصرة فيما بحثناه من مقتضيات الاسماء الحسنى « الحكيم ، الكريم ، الرحيم ، العادل ، الحفيظ » بل ان جميعَ الاسماء الحسنى المتجلية في تدبير الكون تقتضي الآخرةَ وتستلزمها·

ولا تحسب ايضاً ان آيات الكون الدالّة على الحشر هي تلك التي ذكرناها فحسب ، بل هناك آفاق وأوجه في اكثر الموجودات تفتح وتتوجه يميناً وشمالاً ، فمثلما تدل وتشهد على الصانع سبحانه وتعالى من جهة ، فانها من جهة اخرى تشير الى الحشر وتومىء اليه · فمثلاً : ان ما في خلق الانسان على احسن تقويم ، من حسن الصنعة المتقنة ، مثلما هو اشارة الى الصانع سبحانه ، فان ما فيه من قابليات وقوى جامعة ، التي تزول في مدّة يسيرة ، تشير الى الحشر · حتى اذا ما لوحظ وجهٌ واحدٌ فقط بنظرتين ، فانه يدل على الصانع والحشر معاً ·

فمثلا : اذا لوحظت ماهية' ما هو ظاهر" في اغلب الاشياء من تنظيم الحكمة ، وتزيين العناية ، وتقدير العدالة ، ولطافة الرحمة ، تبين انهـا صادرة من يد القدرة لصانع حكيم ، كـريم ، عـادل ، رحيم • كذلك اذا لوحظت عظمة هذه الصفات الجليلة وقوتها وطلاقتها ، مع قصر حياة هذه الموجودات في هذه الدنيا وزهادتها فان الآخرة تتبين من خلالها •

أي ان كل شيء يقرأ ويستقرىء بلسان الحال قائلاً :

آمنت' بالله وباليـوم الآخـر •

الخاتمة

ان الحقائق الاثنتي عشرة السابقة يؤيد بعضها البعض الآخر ، وتكمل احداها الاخرى وتسندها وتدعمها ، فتتبين النتيجة من مجموعها واتحادها معاً • فأي وهم يمكنه ان ينفذ من هذه الاسوار الاثنى عشر الحديد – بل الماس – المنيعة ليزعزع الايمان بالحشر المحصّن بالحصن الحصين !

فالآية الكريمة « ما خَلقُكُمْ ولا بعثكُم إلا كنفس واحدةٍ » تفيد : ان خلق جميع البشر وحشرهم سهل ويسير امام القدرة الالهية ، كخلق انسان واحد وحشره • نعم ، وهو هكذا حيث فصلت هذه الحقيقة في بحث « الحشر » من رسالة « النقطة »(١) • إلا اننا سنشير هنا الى خلاصتها مع ذكر الامثلة ، ومن اراد التفصيل فليراجع تلك الرسالة •

فمثلاً : ولله المثل الأعلى – ولا جدال في الأمثال – ان الشمس مثلما ترسل – ولو ارادياً – ضوءَها بسهولة تامة الى ذرة واحدة ، فانها ترسله بالسهولة نفسها الى جميع المواد الشفافة التي لا حصر لها ، وذلك بسر « النورانية » •

وان أخذ بؤبؤ ذرة شفافة واحدة لصورة الشمس هو مساوٍ لأخذ سطح البحر الواسع لها ، وذلك بسر « الشفافية » •

وان الطفل مثلما يمكنه ان يحرك دُميَتَه الشبيهة بالسفينة ، يمكنه أن يحرك كذلك السفينة الحقيقية ، وذلك بسرّ « الانتظام » الذي فيها •

---

(١) « نقطة من نور معرفة الله » رسالة قيّمة في الايمان ودلائله ، ألفها الاستاذ النورسي قبل شروعه بتأليف رسائل النور سنة ١٩٢٦ ، وهي مطبوعة ضمن كتاب « المثنوي العربي النوري » (المترجم) •

وأن القائد الذي يسيّر الجندي الواحد بأمر « سِر » فانه يسوق الجيش باكمله بالكلمة نفسها ، وذلك بسرّ « **الامتثال والطاعة** » ·

ولو افترضنا ميزاناً حساساً جداً في الفضاء ، بحيث يتحسس وزن جوزة صغيرة في الوقت الذي يمكن ان توضع في كفتيه شمسان · ووجدت في الكفتين جوزتان أو شمسان ، فان الجهد المبذول لرفع احدى الكفتين الى الاعلى والاخرى الى الاسفل هو الجهد نفسه ، وذلك بسر « **الموازنة** » ·

فما دام اكبر شيء يتساوى مع أصغره ، وما لا يعدّ من الاشياء يظهر كالشيء الواحد في هذه المخلوقات والممكنات الاعتيادية ــ وهي ناقصة فانية ــ لما فيها من (النورانية ، والشفافية ، الانتظام ، والامتثال ، والموازنة) فلابدّ أنه يتساوى أمام القدير المطلق : القليل والكثير ، والصغير والكبير ، وحشرُ جميع الناس وفردٌ واحد منهم بصيحة واحدة ، وذلك بالتجليات « النورانية » المطلقة لقدرته الذاتية المطلقة التي هي في منتهى الكمال · و « الشفافية » في ملكوتية الاشياء ، و « بانتظام » الحكمة والقدرة ، و «امتثال» الاشياء وطاعتها لأوامره التكوينية امتثالاً كاملاً وبسر «موازنة» الامكان الذي هو تساوي الممكنات في الوجود والعدم ·

ثم ان مراتب القوة والضعف لشيء ما عبارة عن تداخل ضده فيه ، فدرجات الحرارة ــ مثلاً ــ هي ناتجة من تداخل البرودة ، ومراتب الجمال متولدة من تداخل القبح ، وطبقات الضوء هي من دخول الظلام · إلاّ انّ الشيء ان كان ذاتياً غير عرضي ، فلا يمكن لضده أن يدخل فيه ، وإلا لزم اجتماع الضدّين وهو محال · أي أنه ليست هناك مراتب فيما هو ذاتي وأصيل · فما دامت قدرة القدير المطلق ذاتية ، وليست عرضية كالممكنات ، وهي في كمال المطلق ، فمن المحال اذن أن يطرأ عليها العجزُ الذي ضده · أي ان خلق الربيع بالنسبة لذي الجلال هيّن كخلق زهرة

واحدة ، وبعث الناس جميعاً سهل ويسير كبعث فرد منهم ، بخلاف ما اذا أُسند الامرُ الى الاسباب المادية ، فعندئذٍ يكون خلقُ زهرةٍ واحدة صعب كخلق الربيع .

* * *

وكل ما تقدّم من الامثلة والايضاحات ـ منذ البداية ـ لصور الحشر وحقائقه ما هي إلاّ من فيض القرآن الكريم ، وما هي إلا لتهيئة النفس للتسليم ، والقلب للقبول . اذ القول الفصل للقرآن الكريم والكلام كلامه ، والقول قوله ، فلنستمع اليه ... فلله الحجّة البالغة ...

« **فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارضَ بعدَ موتِها إنّ ذلك لمحيي الموتى وهو على كلّ شيءٍ قدير** » الروم/٥٠ .

« **.. قالَ من يحيي العظامَ وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أوّلَ مرة وهوَ بكل خلقٍ عليم** » يس/٧٨ ، ٧٩ .

« **يا أيها الناسُ اتقو ربكمْ انّ زلزلةَ الساعة شيءٌ عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعةٍ عما أرضعت وتضعُ كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب اللهِ شديد** » الحج/١ ، ٢

« **اللهُ لا إله الاّ هو ليجمعنّكمْ الى يوم القيامةِ لا ريبَ فيه ومن اصدقُ من اللهِ حديثاً** » النساء/٨٧ .

« **ان الأبرار لفي نعيم . وانّ الفجارَ لفي جحيم** » الانفطار/١٣،١٤ .

« **اذا زُلزلت الارض زلزالها . واخرجتِ الارض أثقالها . وقال الانسان مالها . يومئذٍ تحدّثُ اخبارَها . بأن ربّك أوحى لها . يومئذٍ يصدرُ النّاسُ أشتاتاً ليروا اعمالهم . فمنْ يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يرَه . ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شراً يرَهُ** » سورة الزلزال .

« القارعةُ • ما القارعَة • وما ادراك ما القارعة • يومَ يكونُ الناس كالفراش المبثوث • وتكون الجبال كالعِهْنِ المنفوش • فأما مَن ثقلت موازينُه • فهو في عيشةٍ راضيةٍ • وأمـا مَنْ خفَّت موازينُه • فأمه هاوية • وما ادراك ماهيه • نارٌ حامية » سورة القارعة

« ولله غيبُ السموات والارض وما أمرُ الساعَة الا كلمحِ البصر أو هو أقرب ان الله على كلّ شيءٍ قدير » • سورة النحل/٧٧

* * *

ولنستمع الى امثال هذه الآيات البينات • ولنقل آمنا وصدقنا ، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى ، والبعث بعد الموت حق ، وان الجنة حق ، والنار حق ، وان الشفاعة حق ، وان منكراً ونكيراً حق ، وأنّ الله يبعث من في القبور • اشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله •

اللهم صلّ على ألطف وأشرف وأكمل وأجمل ثمرات طوبى رحمتك الذي أرسلته رحمةً للعالمين ووسيلة لوصولنا الى أزين واحسن وأجنى واعلى ثمرات تلك الطوبى المتدلية على دار الآخرة ـ أي الجنّة ـ •

اللهم أجرنا وأجر والدينا من النار وأدخلنا وأدخل والدينا الجنّة مع الابرار بجاه نبيّك المختار ••• آمين •

* * *

● فيا أيها الأخ القارىء لهذه الرسالة بانصاف : **لا تقل لِمَ لا احيط فهماً بهذه الكلمة العاشرة (رسالة الحشر) ••• لا تَغتَم ولا تتضايق من عدم الاحاطة بها** ، فان فلاسفة دهاة ـ امثال ابن سينا ـ قد قالوا : (الحشر ليس على مقاييس عقلية) وانما نؤمن به فحسب • اذ لا يمكن سلوك

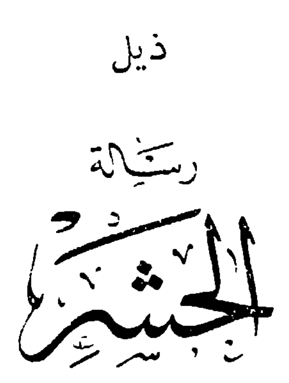
سبيله ، وسبر غوره بالعقل · وكذلك اتفق علماء الاسلام بأن قضية الحشر قضية نقلية ، أي ان أدلتها نقلية ، ولا يمكن الوصول اليها عقلاً · لذا فان سبيلاً غائراً ، وطريقاً عالياً سامياً في الوقت نفسه ، لا يمكن ان يكون بسهولة طريق عام يمكن ان يسلكه كل سالك ·

ولكن بفيض القرآن الكريم ، وبرحمة الخالق الرحيم قد مَنّ علينا السير في هذا الطريق الرفيع العميق ، في هذا العصر الذي تحطم فيه التقليد وفسد الاذعان والتسليم · فما علينا إلاّ تقديم آلاف الشكر الى الباري عز وجلّ على احسانه العميم وفضله العظيم اذ ان هذا القدر يكفي لانقاذ ايماننا وسلامته · فلابد ان نرضى بمقدار فهمنا ونزيده بتكرار المطالعة ·

هذا وان أحد اسرار عدم الوصول الى مسألة الحشر عقلا هو : ان الحشر الاعظم هو من تجلي (الاسم الاعظم) ، لذا فان رؤية واراءة الافعال العظيمة الصادرة من تجلي الاسم الاعظم ، ومن تجلي المرتبة العظمى لكل اسم من الاسماء الحسنى هي التي تجعل اثبات الحشر الاعظم سهلاً هيناً وقاطعاً كاثبات الربيع وثبوته ، والذي يؤدي الى الاذعان القطعي والايمان الحقيقي ·

وهكذا توضّح (الحشر) ووُضّح في هذه (الكلمة العاشرة) بفيض القرآن الكريم · وإلاّ لو اعتمد العقل على مقاييسه الكليلة لظلّ عاجزاً مضطراً الى التقليد ·

ذيل



القطعة الأولى

من اللاحقة والتذليل المهم للكلمة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم • فسُبحانَ الله حينَ تُمسونَ وحينَ تُصبحونَ وله الحمدُ في السَّموات والارض وعشياً وحينَ تُظهرون * يُخرجُ الحيَّ من الميت ويُخرجُ الميّتَ من الحي ويُحيي الارض بعد موتها وكذلك تُخرجونَ * ومن آياته أن خلقكم من تُراب ثم اذا أنتم بَشرٌ تنتشرون * من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعَل بينكم مودّةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خَلقُ السموات والارض واختلافُ السنتكم وألوانكم انَّ في ذلكَ لآيات للعالمين * ومنْ آياته مَنامُكم بالليلِ والنّهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومنْ آياته يُريكمُ البرقَ خوفاً وطمعاً ويُنزلُ من السماء ماءً فيُحيي به الارض بعد موتها انّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته انْ تقومَ السَّماءُ والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوةً من الارض اذا انتم تخرجون * وله من في السموات والارض كلٌ له قانتون * وهوَ الذي يبدؤا الخلق ثم يُعيدُه وهو أهون عليه وله المثَلُ الاعلى في السّموات والارضِ وهو العزيزُ الحكيمُ *

سورة الروم (١٧ ـ ٢٧)

سنُبيّن في هذا (الشعاع التاسع) برهاناً قوياً ، وحجةً كبرى ، لما تبينه هذه الآيات الكريمة من محور الايمان وقطبه ، وهو الحشر · ومن البراهين السامية المقدسة الدالة عليه ·

وانه لعناية ربانية لطيفة ان كتب (سعيد القديم)(١) قبل ثلاثين سنة في ختام مؤلّفه (المحاكمات)(٢) الذي كتبه مقدمة لتفسير (اشارات الاعجاز في مظان الايجاز) ما يأتي ، [المقصد الثاني : سوف يفسر آيتين تبيّنان الحشر وتشيران اليه] · ولكنه ابتدأ بـ : [نخو(٣) بسم الله الرحمن الرحيم] · وتوقف ، ولم تتح له الكتابة ·

فألف شكر وشكر للخالق الكريم ـ وبعدد دلائل الحشر وأماراته ـ أن وفّقني لبيان ذلك التفسير بعد ثلاثين سنة · فأنعمَ سبحانه وتعالى بتفسير الآية الاولى : (فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) · وذلك بعد نحو عشر سنوات ، فأصبحت (الكلمة العاشرة) و (الكلمة التاسعة والعشرين)(٤) وهما حجتان ساطعتان قويتان أخرستا المنكرين الجاحدين ··· وبعد حوالى عشر سنوات من بيان ذلك الحصن الحصين للحشر ، أفاض عليّ سبحانه وتعالى وانعم بتفسير الآيات المتصدرة لهذا الشعاع ، فكانت هذه الرسالة · فهذا (الشعاع التاسع)(٥) عبارة عن تسعة مقامات سامية مما أشارت اليها الآيات الكريمة مع مقدمة مهمة ·

---

(١) هو اللقب الذي يطلقه الاستاذ النورسي على نفسه قبل قيامه بتأليف رسائل النور · (المترجم)

(٢) أي المحاكمات العقلية · (المترجم)

(٣) نه‌خو : كلمة كردية باللهجة الكرمانجية الشمالية ، تعنى : فاذن · (المترجم) ·

(٤) رسالة (الملائكة وبقاء الروح والحياة الآخرة) · (المترجم)

(٥) اي الرسالة التاسعة من كتاب « شعاعلر » (الشعاعات » الذي يضم (١٥) شعاعاً · (المترجم) ·

المقدمة

[هذه المقدمة نقطتان :

سنذكر اولاً وباختصار نتيجة واحـدة جامعة من بين النتائج الحياتية والفوائد الروحية لعقيدة الحشـر ـ مبينين مـدى ضرورة هـذه العقيدة للحياة الانسانية ولاسيما الاجتماعية ٠

ونورد كذلك حجة كلية واحدة ـ من بين الحجج العديدة لعقيدة الايمان بالحشر ـ مبينين ايضاً مدى بداهتها ووضوحها حيث لا يداخلها ريب ولا شبهة] ٠

النقطة الأولى

« ضرورة عقيدة الآخرة لحياة الانسان الفردية والاجتماعيـــة »

سنشير الى أربعة أدلة على سبيل المثال ـ وكنموذج قياسي ـ مـن بين مئات الادلة على : أن عقيدة الآخـرة هي أس الاساس لحياة الانسان الاجتماعية والفردية ، وأساس جميع كمالاته ومُثله وسعادته ·

الدليل الأول :

ان **الاطفال** الذين يمثلون نصف البشرية ، لا يمكنهم ان يتحمّلوا تلك الحالات التي تبدو مؤلمةً ومفجعةً امامَهم من حالات الموت والوفاة إلاّ بمـا يجدونه في انفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من « الايمان بالجنة » · ذلك الايمان الذي يفتح باب الامل المُشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب · فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور · فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه : « **ان اخي الصغير ـ او صديقي الحبيب ـ الذي توفي ، اصبح الآن طيراً من طيـور الجنة ، فهو اذن يسرح من الجنة حيث يشاء ، ويعيش أفضل واهنأ منـا** » · وإلاّ فلولا هذا الايمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالاً أمثاله ـ وكذلك الكبار ـ تلك القوة المعنوية لهـؤلاء الذين لا حيلـة لهم ولا قوة ، ولحطّم نفسياتهم، ولدمّر حياتهم ونغّصها ، فتبكي عندئذٍ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم · فاما أن تموت احاسيسهم وتغلظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة ·

الدليل الثاني :

إن **الشيوخ** الذين هم نصف البشرية ، انما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بـ «الايمان بالآخرة». ولايجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم ، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلاّ في ذلك الايمان . فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالاطفال واصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم ، انما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشيء من الموت والزوال ، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة . والاّ فلولا هذا الايمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والامهات – الذين هم اجدر بالشفقة والرأفة والذين هم في أشد الحاجة الى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة – ضراماً روحياً واضطراباً نفسياً وقلقاً قلبياً ، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت ، ولتحولت سجناً مظلماً رهيباً ، ولانقلبت الحياة الى عذاب أليم قاسٍ .

الدليل الثالث :

ان **الشباب** والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدّيء فورة مشاعرهم ، ولايمنعهم من تجاوز الحدود الى الظلم والتخريب ، ولايمنع طيش انفسهم ونزواتها ، ولا يؤمّن السير الافضل في علاقاتهم الاجتماعية إلاّ الخوف من نار جهنم . فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون – بأهوائهم – الدنيا الى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز ، حيث « الحُكْم للغالب » ، ولحوّلوا الحياة الانسانية السامية الى حياة حيوانية سافلة .

الدليل الرابع :

ان **الحياة العائلية** هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها ، وهي

جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الامين وان بيت كل فرد هو عالمه ودنياه الخاصة . فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع ، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل الى حد التضحية والايثار . ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفية إلا بالايمان بوجود علاقات صداقة أبدية ، ورفقة دائمة ، ومعيّة سرمدية ، في زمن لا نهاية له ، وتحت ظل حياة لا حدود لها ، تربطها علاقات أبوّة محترمة مرموقة، واخوة خالصة نقية ، وصداقة وفيّة نزيهة، حيث يحدّث الزوج نفسه: « ان زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الابد والحياة الخالدة ، فلا ضير إن اصبحت الآن دميمة أو عجوزاً ، اذ ان لها جمالاً أبدياً سيأتي ، لذا فأنا مستعد لتقديم اقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة ، وأضحي بكل ما يتطلبه تلك الصداقة الدائمة » ... وهكذا يمكن أن يكنّ هذا الرجل حباً ورحمة لزوجته العجوز كما يكنّه للحور العين . والا فان صحبة وصداقة صورية تستغرق ساعة أو ساعتين ومن ثم يعقبها فراق أبدي ومفارقة دائمة لهي صحبة وصداقة ظاهرية لا أساس لها ولا سند . ولا يمكنها ان تعطي الا رحمة مجازية ، واحتراماً مصطنعاً ، وعطفاً حيواني المشاعر ، فضلاً عن تدخل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتنقلب عندئذ تلك الجنة الدنيوية الى جحيم لا تطاق .

وهكذا فان نتيجة واحدة للايمان بالحشر - من بين مئات النتائج - التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للانسان ، وتعود اليها ، والتي لها مئات الاوجه والفوائد ، اذا ما قيست على تلك الدلائل الاربعة المذكورة آنفاً ، يُدرك أن : وقوع حقيقة الحشر وتحققها قطعي كقطعية ثبوت حقيقة الانسان السامية وحاجاته الكلية . بل انها اظهر دلالة من حاجة المعدة الى الاطعمة

والاغذية ، واوضح شهادةً منها ٠ ويمكن ان يقدّر مدى تحققها تحققاً أعمق واكثر اذا ما سلبت الانسانية من هذه الحقيقة ـ الحشر ـ حيث تصبح ماهيتها التي هي سامية ومهمة وحيوية بمثابة جيفة نتنة ومأوى الميكروبات والجراثيم ٠

فليصغ السمع علماء الاجتماع والسياسة والاخلاق من المعنيين بشؤون الانسان واخلاقه واجتماعه ، وليأتوا ويبينوا بماذا سيملأون هذا الفراغ ؟ وبماذا سيداوون ويضمدون هذه الجروح الغائرة العميقة ؟!

النقطة الثانيــة

« شهادة سائر الأركان الايمانية على الايمــان بالآخرة »

تبين هذه النقطة بايجاز شديد برهاناً واحداً ـ من بين البراهين التي لا حصر لها ـ على حقيقة الحشر وهو ناشيء من خلاصة شــهادة ســائر الاركان الايمانية · وعلى النحو الآتي :

ان جميع المعجزات الدالة على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليــه وسلم مع جميع دلائل نبوته ، وجميع البراهين الدالة على صدقه ، تشهد بمجموعها معاً ، على حقيقة الحشر ، وتدل عليها ، وتثبتها ، لأن دعوتــه صلى الله عليه وسلم طوال حياته المباركة قد انصبّت ـ بعــد التوحيد ـ على الحشر · وأن جميع معجزاته وحججه التي تــدل على صدق الانبياء عليهم السلام ـوتحمل الآخرين على تصديقهمـ تشهد على الحقيقة نفسها ، وهي الحشر · وكذا شهادة « **الكتب المنزلة** » التي رقّت الشهادة الصادرة من « **الرسل الكرام** » الى درجة البداهة ووضّحتها ، تشهدان على الحقيقة نفسها · وعلى النحو الآتي :

ففي المقدمة القرآن الكريم ـ ذو البيان المعجز ـ يشهد بجميع معجزاته وحججه وحقائقه ـ التي تثبت أحقيته ـ على حدوث الحشر ويثبته ، حيث ان ثُلث القرآن بأكمله ، وأوائل أغلب السور القصار ، آيات عنيفة على الحشر · أي أن القرآن الكريم ينبيء عن الحقيقة نفسـها بآلاف من آياتــه الكريمة صراحة أو اشارةً ويثبتها بوضوح ، ويظهرها بجلاء · فمثلاً :ـ

« اذا الشمسُ كوِّرت » .

« يا أيها الناسُ اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم » .

« اذا زلزلت الارض زلزالها » .

« اذا السماء انفطرت » .

« اذا السماء انشقت » .

« عمَّ يتساءلون » .

« هل آتاك حديث الغاشية » .

فيثبت القرآن الكريم بهذه الآيات وأمثالها ـ في مفتتح ما يقارب أربعين سورة ـ ان الحشر لا ريب فيه ، وأنه حدثٌ في غاية الأهمية في الكون ، وان حدوثه ضروري جداً ولابد منه ، ويبين بالآيات الأخرى دلائل مختلفة مقنعة على تلك الحقيقة .

فيا ترى ان كتاباً تثمر اشارةٌ واحدةٌ لآيةٍ من آياته تلك الحقائق العلمية والكونية المعروفة بالعلوم الاسلامية ، فكيف بشهادة آلاف من آياته ودلائله التي تبين الايمان بالحشر كالشمس ساطعة ؟ ألا يكون الجحود بهذا الايمان كانكار الشمس بل كانكار الكائنات قاطبة ؟! ألا يكون ذلك باطلاً ومحالاً في مائة محال ؟! .

ترى هل يمكن ان يوصَم آلاف الوعد والوعيد لكلام سلطان عزيز عظيم بالكذب أو انها بلا حقيقة ، في حين قد يخوض الجيش غمار الحرب لئلا تُكذَّب اشارةٌ صادرة من سلطان .

فكيف السلطان المعنوي العظيم الذي دام حكمه وهيمنته ثلاثة عشر قرناً دون انقطاع ، فربّى ما لا تعد من الارواح والعقول والقلوب والنفوس وزكّاها وأدارها على الحق والحقيقة ، الا تكفي اشارة واحدة منه لاثبات حقيقة الحشر ؟ علماً أن فيه آلاف الصراحة الواضحة المثبتة ! أليس الذي

لا يدرك هذه الحقيقة الواضحة احمقَ جاهلاً ؟ ألا يكون من العدالة المحضة ان تكون النار مثواه ؟

ثم ان الصحف السماوية والكتب المقدسة جميعها التي حكمت كلٌ منها لفترة من العصور والازمنة ، قد صدّقت ـ بآلاف من الدلائل ـ دعوى القرآن الكريم في حقيقة الحشر ـ مع ان بيانها لها مختصر وموجز ، وذلك بمقتضى زمانها وعصرها ـ تلك الحقيقة القاطعة التي بيّنها القرآن الكريم الذي ساد حكمه على العصور جميعها ، وهيمن على المستقبل كله ، بيّنها بجلاء وافاض في ايضاحها ·

* * *

يندرج هنا نص ما جاء في آخر رسالة (المناجاة) ـ انسجاماً مع البحث ـ تلك الحجة القاطعة الملخّصة للحشر ، والناشئة من شهادة سائر الاركان الايمانية ودلائلها على الايمان باليوم الآخر ـ ولاسيما الايمان بالرسل والكتب ـ والتي تبدد الاوهام والشكوك ، حيث جاءت باسلوب موجز ، وعلى صورة مناجاة ·

« يا ربي الرحيم ·· لقد أدركتُ بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمتُ من تدريس القرآن الحكيم : ان الكتبَ المقدسة جميعها ، وفي مقدمتها القرآن الكريم ، والأنبياءَ عليهم السلام جميعهم ، وفي مقدمتهم الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ، يدلّون ويشهدون ويشيرون بالاجماع والاتفاق :

ان تجليات الاسماء الحسنى ـ ذات الجلال والجمال ـ الظاهرةَ آثارُها في هذه الدنيا ، وفي العوالم كافة ، ستدوم دواماً أسطعَ وأبهرَ في أبد الآباد · وان تجلياتها ـ ذات الرحمة ـ وآلاءها المشاهدة نماذجها في هذا

العالم الفاني ، ستثمر بأبهى نور وأتشم تألق ، وستبقى دوماً في دار السعادة • وان أولئك المشتاقين الذين يتملّونها – في هذه الحياة الدنيا القصيرة – بلهفة وشوق سيرافقونها بالمحبة والودّ ، ويصحبونها الى الابد ، ويظلون معها خالدين •

وان جميع الانبياء – وهم ذوو الارواح النيرة – وفي مقدمتهم الرسول الاكرم عليه الصلاة والسلام ، وجميع الأولياء – وهم أقطاب ذوي القلوب المنورة – وجميع الصديقين – وهم منابع العقول النافذة النيّرة – ••• كل اولئك يؤمنون ايماناً راسخاً عميقاً بالحشر ويشهدون عليه ، ويبشّرون البشرية بالسعادة الابدية ، وينذرون اهل الضلالة بأن مصيرهم النار ، ويبشرون اهل الهداية بأن عاقبتهم هي الجنة ••• مستندين الى مئات المعجزات الباهرة والآيات القاطعة ، والى ما ذكرته – يا ربي – مراراً وتكراراً في الصحف السماوية والكتب المقدسة كلها من آلاف الوعد والوعيد ••• ومعتمدين على عزة جلالك وسلطان ربوبيتك ، وشؤونك الجليلة ، وصفاتك المقدسة – كالقدرة والرحمة والعناية والحكمة والجلال والجمال – وبناءً على مشاهداتهم وكشفياتهم غير المعدودة التي تنبيء عن آثار الآخرة ورشحاتها • وبناءً على ايمانهم واعتقادهم الجازم الذي هو بدرجة علم اليقين وعين اليقين •

فيا قدير ويا حكيم ويا رحمن ويا رحيم ويا صادق الوعد الكريم ، ويا ذا العزة والعظمة والجلال ويا قهار ذو الجلال • انت مقدّس ومنزّه ، وانت متعال عن ان توصم بالكذب كل أوليائك وكل وعودك وصفاتك الجليلة وشؤونك المقدسة •• فتكذّبهم ، أو تحجب ما تقتضيه – قطعاً – سلطان ربوبيتك بعدم استجابتك لتلك الادعية الصادرة من عبادك الصالحين الذين احببتهم وأحبّوك ، وحبّبوا انفسهم اليك بالايمان

والتصديق والطاعة ، فأنت منزّه ومتعال مطلق من أن تصدّق أهل الضلالة والكفر في انكارهم الحشر ، اولئك الذين يتجاوزون على عظمتك وكبريائك بكفرهم وعصيانهم وتكذيبهم لك ولوعودك ، والذين يستخفّون بعزة جلالك وعظمة ألوهيتك ورأفة ربوبيتك ، فنحن نقدس ـ بلا حد ولا نهاية ـ عدالتك وجمالك المطلقين ورحمتك الواسعة وننزهها من هذا الظلم والقبح غير المتناهي . ونعتقد ونؤمن بكل ما أوتينا من قوة بأن الآلاف من الرسل الكرام ، وبما لا يعدّ ولا يحصى من الانبياء والاصفياء والأولياء الذين هم المنادون اليك هم شاهدون بحق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين على خزائن رحمتك الأخروية وكنوز احساناتك في عالم البقاء ، وتجليات اسمائك الحسنى التي تنكشف كلياً في دار السعادة ... ونؤمن ان هذه الشهادة حق وحقيقة ، وان اشاراتهم صدق وواقع ، وان بشاراتهم صادقة وواقعة.. فهؤلاء جميعاً يؤمنون بأن هذه الحقيقة الكبرى ـ أي الحشر ـ شعاع عظيم من اسم « الحق » الذي هو مرجع جميع الحقائق وشمسها ، فيرشدون عبادك ـ باذن منك ـ ضمن دائرة الحق ، ويعلمونهم بعين الحقيقة .

فيا ربي ! بحق دروس هؤلاء ، وبحرمة ارشاداتهم ، آتنا ايماناً كاملاً وارزقنا حسن الخاتمة ، لنا ولطلاب النور ، واجعلنا أهلا لشفاعتهم ..آمين»

* * *

وهكذا فكما ان الدلائل والحجج التي تثبت صدق القرآن الكريم بل جميع الكتب السماوية ، وان المعجزات والبراهين التي تثبت نبوة حبيب الله بل الانبياء جميعهم ، تثبت بدورها أهم ما يدعون اليه ، وهو تحقق الآخرة وتدل عليها . كذلك فان اغلب الادلة والحجج الشاهدة على وجوب واجب الوجود ووحدته سبحانه ، هي بدورها شاهدة على دار السعادة وعالم البقاء التي هي مدار الربوبية والالوهية وأعظم مظهر لهما ، وهي

شاهدة على وجود تلك الدار وانفتاح أبوابها ـ كما سيُبين في المقامات الآتية ـ لأن وجوده سبحانه وتعالى ، وصفاته الجليلة ، وأغلب اسمائه الحسنى ، وشؤونه الحكيمة ، وأوصافه المقدسة ـ أمثال الربوبية والالوهية والرحمة والعناية والحكمة والعدالة ـ تقتضي جميعها الآخرة وتلازمها ، بل تستلزم وجود عالم البقاء ـ بدرجة الوجوب ـ وتطلب الحشر والنشور للثواب والعقاب ـ بدرجة الضرورة ـ أيضاً ٠

نعم ، ما دام الله موجوداً ، وهو واحدٌ أحدٌ ، وأزلي أبدي ، فلابد ان محور سلطان الوهيته ـ وهو الآخرة ـ موجـود أيضاً ٠٠٠ وما دامت الربوبية المطلقة تتجلى في هذه الكائنات ـ ولاسيما في الاحياء ـ وهي ذات جلال وعظمة وحكمة ورأفة ظاهرة واضحة ، فلابد أن هناك سعادة أبدية تنفي عن الربوبية المطلقة أي ظن بكونها تترك الخلق هملاً دون ثواب ، وتبرىء الحكمة من العبث ، وتصون الرأفة من الغدر أي أن تلك الدار موجودة قطعاً ولابد من الدخول فيها ٠

وما دامت هذه الانواع من الانعام والاحسان واللطف والكرم والعناية والرحمة مشاهدة وظاهرة أمام العقول ـ التي لم تنطفىء ـ وامام القلوب ـ التي لم تمت ـ وتدلّنا على وجود رب رحمن رحيم وراء الحجاب ، فلابد من حياة باقية خالدة ، لتنقذ الانعامَ من الاستهزاء ـ أي يأخذ الانعام مداه ـ وتصون الاحسان من الخداع ـ ليستوفي حقيقته ـ وتنقذ العناية من العبث ـ لتستكمل تحققها ـ وتنجي الرحمة من النقمة ـ فيتم وجوهها ـ وتبرىء اللطف والكرم من الاهانة ـ ليفيضا على العباد ـ ٠ نعم ، ان الذي يجعل الاحسان احساناً حقاً ، والنعمة نعمةً حقاً ، هو وجود حياةٍ باقيةٍ خالدةٍ في عالم البقاء والخلود ٠٠٠ نعم ، لابد ان يتحقق هذا ٠

وما دام قلم القدرة الذي يكتب في فصل الربيع ـ وفي صحيفة ضيقة

صغيرة ـ مائة ألف كتاب ، كتابةً متداخلة دون خطأ ولا نصب ولا تعب ، كما هو واضح جليٌ امام اعيننا • وان صاحب ذلك القلم قد تعهّد ووعد مائة ألف مرة ان : « لأكتبنّ كتاباً اسهل من كتاب الربيع المكتوب أمامكم ولأكتبنّه كتابةً خالدة ، في مكان اوسعَ وارحبَ وأجملَ من هذا المكان الضيق المختلط المتداخل ··· فهو كتاب لا يفنى ابداً ، ولأجعلنكم تقرأونه بحيرة واعجاب ! » • وانه سبحانه يذكر ذلك الكتاب في جميع أوامره ، فان اصول ذلك الكتاب اذن قد كُتبت بلا ريب ، وستُكتب حواشيه وهوامشه بالحشر والنشور ، وستدوّن فيه صحائف أعمال الجميع •

وما دامت هذه الارض قد اصبحت ذات اهمية عظمى من حيث احتوائها على كثرة المخلوقات ، ومئات الالوف من انواع ذوي الحياة والأرواح المختلفة المتبدلة ، حتى صارت قلب الكون ، وخلاصته ، ومركزه ، وزبدته ، ونتيجته ، وسبب خلقه • فذُكرت دائماً صنواً للسماوات كما في « رب السموات والارض » في جميع الأوامر السماوية ···

وما دام ابن آدم يحكم في شتى جهات هذه الارض ـ التي لها هذه الماهيات والخواص ـ ويتصرف في اغلب مخلوقاتها مسخّراً اكثر الاحياء له ، جاعلاً اكثر المصنوعات تحوم حوله وفق مقاييسه وهواه ، وحسب حاجاته الفطرية ، وينظمها ، ويعرضها ، ويزيّنها ، وينسّق الأنواع العجيبة منها في كل مكان بحيث لا يلفت نظر الانس والجن فحسب ، بل يلفت نظر أهل السموات والكون قاطبة ، بل حتى نظر مالك الكون ، فنال الاعجاب والتقدير والاستحسان ، وأصبحت له ـ من هذه الجهة ـ أهمية عظيمة ، وقيمة عالية ، فاظهر ـ بما أوتي من علم ومهارة ـ انه هو المقصود من حكمة خلق الكائنات ، وأنه هو نتيجتها العظمى ، وثمرتها النفيسة ، ولا غرو فهو خليفة الارض ··· ولكن لكونه يعرض الصنائع البديعة

للخالق سبحانه ، وينظّمها بشكل جميل جذاب ، في هـذه الدنيـا ، فقد أُجّل عذاب عصيانه وكفره ، وسُمح له العيش في الدنيا وأُمهل ليقـوم بهذه المهمة بنجاح ·

وما دام لابن آدم ـ الذي له هذه الماهية والمزايا خلقةً وطبعاً ، ولـه حاجات لا تُحدّ مع ضعفه الشديد ، وآلام لا تُعدّ مع عجزه الكامل ـ ربٌّ قدير ، له من القدرة والرأفة المطلقة ما يجعل هذه الارض الهائلة العظيمة مخزناً عظيماً لأنواع المعادن التي يحتاجها الانسان ، ومستودعاً لأنـواع الاطعمة الضرورية له ، وحانوتاً للأموال المختلفة التي يرغبها ، وانه سبحانه ينظر اليه بعين العناية والرأفة ويربيه ويزوده بما يريد ···

وما دام الرب سبحانه ـ كما في هـذه الحقيقة ـ يحبّ الانسان ، ويحبّب نفسه اليه ، وهو باقٍ ، وله عوالم باقية ، ويُجري الامور وفـق عدالته ، ويعمل كل شيء وفق حكمته ، وان عظمة سلطان هـذا الخـالق الأزلي وسرمدية حاكميته لا تحصرهما هذه الدنيا القصيرة ، ولا يكفيهما عمر الانسان القصير جداً ، ولا عمر هذه الارض المؤقتة الفانية · حيث يظـل الانسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم والعصيان ، وما يقترفه من انكار وكفر وعصيان ـ تجاه مولاه الذي انعم عليه ورباه برأفة كاملة وشفقة تامة ـ مما ينافي النظام المنسّق للكون ، ويخالف العـدالة والموازنة الكاملة التي فيها ، ويخالف جماله وحُسنه ، اذ يقضي الظـالم القاسي حياته براحة ، بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش · فلا شك ان ماهية تلك العدالة المطلقة ـ التي يشاهد آثارها في الكائنات ـ لا تقبل أبداً ، ولا ترضى مطلقاً ، عدم بعث الظالمين العتاة مـع المظلومين البائسين الذين يتساوون معاً امام الموت ·

وما دام مالك الملك قد اختار الارض من الكون ، واختار الانسان من

الارض ، ووهب له مكانة سامية ، وأولاه الاهتمـام والعنـاية ، واختـار الانبياء والأولياء والاصفياء من بين الناس ، وهم الذين انسجموا مع المقاصد الربانية ، وحبّبوا انفسهم اليه بالايمان والتسليم، وجعلهم أولياءه المحبوبين المخاطبين له ، واكرمهم بالمعجزات والتوفيق في الأعمـال وأدّب اعـداءهم بالصفعات السماوية · واصطفى من بين هؤلاء المحبوبين إمامَهـم ورمـزَ فخرهم واعتزازهم ، ألا وهو محمد عليه الصلاة والسلام · فنوّر بنـوره نصف الكرة الأرضية ـ ذات الأهمية ـ وخُمس البشرية ـ ذوي الأهمية ـ طوال قرون عدة ، حتى كأن الكائنات قد خُلقت لأجله ، لبروز غاياتهـا جميعاً به ، وظهورها بالدين الذي بُعث به ، وانجلائها بالقرآن الذي أُنزل عليه · فبينما يستحق أن يكافأ ثمن خدماته الجليلة غير المحدودة بعمرٍ مديد غير محدود وهو أهل له ، إلاّ أنه قضى عمراً قصيراً وهو « ٦٣ » سنة في مجاهدة ونصَب وتعب ! فهل يمكن ، وهل يعقل مطلقاً ، وهل هناك أى احتمال ألاّ يُبعث هو وأمثاله وأحباؤه معاً ؟! وألاّ يكون الآن حياً بروحه ؟! وان يفنى نهائياً ويصير الى العدم ؟ كلا ··· ثـم كلا ··· وحاشاه ألف ألف مـرة ·

نعم ، ان الكون وجميع حقائق العالم يدعو الى بعثه ويريده ويطلب من صاحب الكون حياته ··· ولقد بيّنت رسـالة « الآيـة الـكبرى » وهي الشعاع السابع واثبتت بثلاثة وثلاثين اجماعاً عظيمـا ـ كل منه يعتبـر كالجبل الأشم في قوة حجّته ـ بأن هذا الكون لم يصدر إلاّ من يد واحدٍ أحد ، وليس ملكاً إلا لواحدٍ أحد · فاظهرت التوحيد ـ بتلـك البراهين والمراتب بداهةً ـ انه محور الكمال الآلهي وقطبه · وبيّنت أنه بالوحدة والأحدية يتحول جميعُ الكون بمثابة جنودٍ مستَنفرين لذلك الواحد الاحد ، وموظفين مسخّرين له · وبمجيء الآخرة ووجودِهـا تتحقق كمالاتـه ،

وتصان من السقوط • وتسود عدالته المطلقة ، وتنجو من الظلم • وتتنزه حكمته العامة ، وتبرأ من العبث والسفاهة ، وتأخذ رحمته الواسعة مداها ، وتنقذ من التعذيب المشين • وتبدو عزته وقدرته المطلقتان ، وتنقذان من العجز الذليل • وتتقدس كل صفة من صفاته سبحانه وتتجلى منزهة جليلة •

فلابد ــ ولا ريب مطلقاً ــ أن القيامة ستقوم ، وان الحشر والنشور سيحدث ، وان أبواب دار الثواب والعقاب ستفتح ، بمقتضى ما في حقائق هذه الفقرات الثمانية المذكورة المبتدئة بـ « ما دام » التي هي مسألة دقيقة ونكتة ذات مغزى لطيف من بين مئات النكات الدقيقة للايمان بالله وذلك : **كي تتحقق اهمية الارض ومركزيتها ، واهمية الانسانية ومكانتها ، ولكي تقرر العدالة والحكمة والرحمة والسلطة لخالق الارض والانسان وربهما • ولكي ينجو الاولياء والاحباء الحقيقيون والمشتاقون الى الرب الباقي عن الفناء والاعدام الأبدي • ولكي يرى اعظمهم واحبهم واعزهم ثواب عمله ، ونتائج خدماته الجليلة التي جعلت الكائنات في امتنان ورضى دائمين • ولكي يتقدس كمال السلطان السرمدي من النقص والتقصير ، وتتنزه قدرته من العجز ، وتبرأ حكمته من السفاهة ، وتتعالى عدالته عن الظلم •**

والخلاصة : ما دام الله جل جلاله موجوداً فان الآخرة لا ريب فيها مطلقاً •

* * *

وكما تثبت الاركان الايمانية الثلاثة ــ المذكورة آنفاً ــ الحشرَ بجميع دلائلها وتشهد عليه • كذلك يستلزم الركنان الايمانيان « **وبملئكته . وبالقدر خيره وشره من الله تعالى** » أيضاً الحشرَ ، ويشهدان شهادة قوية

على العالم الباقي ويدلان عليه ، على النحو الآتي :

ان جميع الدلائل والمشاهدات والمكالمات الدالة على وجـود **الملائكة** ووظائف عبوديتهم ، هي بدورهـا دلائل على : وجود عالم الارواح وعالم الغيب ، وعالم البقاء وعالم الآخرة ، ودار السعادة والجنة والنار اللتين ستعمران بالجن والانس ، لان الملائكة يمكنهم ـ باذن الهي ـ ان يشاهدوا هذه العوالم ويدخلونها ، لذا فالملائكة المقربون يخبرون بالاتفاق ـ كجبرئيل عليه السلام الذي قابل البشر ـ بوجود تلك العوالم المذكورة وتجوالهم فيها. فكما اننا نعلم بديهة وجود قارة أمريكا ـ التي لم نرها ـ من كلام القادمين منها ، كذلك يكون الايمان بديهة بما اخبرت به الملائكة ـ وهو بقوة مائة تواتر ـ عن وجود عالم البقاء ودار الآخرة والجنة والنـار ... وهكذا نؤمن ونصدق .

★ ★ ★

وكذلك الدلائل التي تثبت « **الايمان بالقدر** » ـ كما جاءت في رسالة القدر « الكلمة السادسة والعشرين » ـ وهي بدورها دلائل على الحشر ، ونشر الصحف ، وموازنة الاعمال عند الميزان الاكبر ، ذلك لأن ما نراه أمام أعيننا من تدوين مقدّرات كل شيء على ألواح النظام والميزان ، وكتابة الأحداث الحياتية ووقائعها لكل ذي حيـاة في قـواه الحافظة ، وفي حبوبه ونواه ، وفي سائر الالواح المثالية . وتثبيت دفاتر الاعمال لـكل ذي روح ـ ولاسيما الانسان ـ واقرارها في ألواح محفوظة ... كل هذا القدر من القدَر ذي الاحاطة التامة ، ومن التقدير ذي الحكمة ، ومن التدوين ذي الدقة المتناهية ، ومن الكتابة ذات الحفظ والامانة ، لا يمكن أن يكون الا لأجل محكمة كبرى ، ولنيل ثواب وعقاب دائمين . والا فلا يبقى مغـزى اطلاقاً ، ولا فائدة أبداً ، لذلك التـدوين المحيط ، والكتابة التي تسـجل

وتحفظ أدق الامور · فيقع اذن ما هو خلاف الحكمة والحقيقة · أي إنْ لم يحدث الحشر فان جميع المعاني الحقة لكتاب الكون التي كتبت بقـلم القَدَر سوف تمسخ وتفسد ! وهذا لا يمكن ان يكون مطلقاً ، وليس لـه احتمال قط ، بل هو محال في محال · كانكار هذه الكائنات ، بل هو هذيان ليس إلا ·

نحصل مما تقدم : ان جميع دلائل اركان الايمان الخمسة هي بدورها دلائل على الحشر ووجوده ، وعلى النشور وحدوثه ، وعلى وجود الـدار الآخرة وانفتاح ابوابها · بل تستدعيه وتشهد عليه ، لذا فانه من الوفاق الكامل والانسجام التام ان يبحث ثلث القرآن الكريم ــ المعجز البيـان ــ بكامله عن الحشر لما له من الاسس والبراهين التي لا تتزعزع ــ ويجعله اساساً وركيزة لجميع حقائقه التي يرفعها على ذلك الحجر الاساس ·

(انتهت المقدمة)

القطعة الثانية

من الذيل

« الحياة تثبت اركان الايمان الستة »

[المقام الاول عبارة عن تسعة مقامات لطبقات البراهين التسع التي تدور حول الحشر والتي أشارت اليها باعجاز الآية الكريمة المتصدرة] :ـ

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون • وله الحمد في السموات والارض وعشياً وحين تظهرون • يُخرج الحَي من الميّت ويُخرج الميّت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون • » (الروم/١٧ـ١٩) •

سيَتبيَّن ـ ان شاء الله ـ ويوضّح ما اظهرته هذه الآيات الكريمة من البرهان الباهر والحجة القاطعة للحشر(١) •

ولقد بيّنت في الخاصة الثامنة والعشرين من (الحياة)(٢) ان الحياة تثبت اركان الايمان الستة، وتنظر اليها وتتوجه نحوها، وتشير الى تحقيقها•

---

(١) لم يكتب هذا المقام بعدُ • وحيث ان مسألة (الحياة) وقضيتها لها علاقة مع الحشر ، فقد أُدرجت هنا وفي ختام هذه المسألة هناك اشارتها الى الركن الايماني (القَدَر) ، فهي مسألة دقيقة جداً وعميقة •

(٢) وضّح الاستاذ النورسي هذه الخواص للحياة عند شرحه اسم الله الأعظم ، ومنه « الحيّ » • وذلك في النكتة الخامسة من اللمعة الثلاثين من كتاب اللمعات • (المترجم)

نعم ! فما دامت (الحياة) هي حكمة خلق الكائنات ، وأهم نتيجتها وجوهرها ، فلا تنحصر تلك الحقيقة السامية في هذه الحياة الدنيا الفانية القصيرة الناقصة المؤلمة ، بل أن الخواص التسع والعشرين للحياة وعظمة ماهيتها ، وما يُفهم من غاية شجرتها ونتيجتها ، وثمرتها الجديرة بعظمة تلك الشجرة ، ما هي إلاّ الحياة الأبدية والحياة الآخرة والحياة الحية بحجرها وترابها وشجرها في دار السعادة الخالدة · والاّ يلزم ان تظن شجرة الحياة المجهّزة بهذه الأجهزة الغزيرة المتنوعة فيذوي الشعور ـ ولاسيما الانسان ـ دون ثمر ولا فائدة ، ولا حقيقة · ولظل الانسان تعساً وشقياً وذليلاً وأحط من العصفور بعشرين درجة ـ بالنسبة لسعادة الحياة ـ مع أنه أسمى مخلوق ، وأكرم ذوي الحياة وارفع من العصفور بعشرين درجة ·

بل يصبح العقل الذي هو أثمن نعمة بلاءً ومصيبة على الانسان بتفكره في أحزان الزمان الغابر ومخاوف المستقبل فيعذّب قلبَ الانسان دائماً معكراً صفو لذة واحدة بتسعة آلام ! · ولاشك أن هذا باطل مائة في المائة ·

فهذه الحياة الدنيا اذن تثبت ركن (الايمان بالآخرة) اثباتاً قاطعاً بما تظهر لنا في كل ربيع اكثر من ثلاثمائة الف نموذج من نماذج الحشر ·

فيا ترى هل يمكن لربٍّ قدير ، يهيء ما يلزم حياتك من الحاجات المتعلقة بها جميعاً ويوفر لك اجهزتها كلها سواءً في جسمك أو في حديقتك ، أو في بلدك ، ويرسله في وقته المناسب بحكمة وعناية ورحمة · حتى أنه يعلم رغبة معدتك فيما يكفل لك العيش والبقاء ، ويسمع ما تهتف به من الدعاء الخاص الجزئي للرزق مُبدياً قبوله لذلك الدعاء بما بثّ من الاطعمة اللذيذة غير المحدودة ليطمئن تلك المعدة ! فهل يمكن لهذا المتصرف القدير ان لا يعرفك ؟ ولا يراك ؟ ولا يهيء الاسباب الضرورية لأعظم غاية للانسان

وهي الحياة الأبدية ؟؟ ولا يستجيب لأعظم دعاء وأهمه وأعمه ، وهو دعاء البقاء والخلود ؟ ولا يقبله بعدم انشائه الحياة الآخرة وايجاد الجنة ؟ ولا يسمع دعاء هذا الانسان ــ وهو أسمى مخلوق في الكون بل هو سلطان الارض ونتيجتها ــ ذلك الدعاء العام القوي الصادر من الاعماق ، والذي يهز العرش والفرش ! فهل يمكن ان لا يهتم به اهتمامه بدعاء المعدة الصغيرة ولا يُرضي هذا الانسان ؟ ويعرّض حكمته الكاملة ورحمته المطلقة للانكار ؟؟ كلا .. ثم كلا ألف ألف مرة كلا .

وهل يعقل ان يسمع اخفت صوت لأدنى جزء من الحياة فيستمع لشكواه ويسعفه ، ويحلم عليه ويربيه بعناية كاملة ورعاية تامة وباهتمام بالغ مسخراً له أكبر مخلوقاته في الكون ، ومن ثم لا يسمع صوتاً كهدير السماء لأعظم حياة وأسماها وألطفها وأدومها ؟؟ وهل يعقل : ألاّ يهتم بدعائه المهم جداً ــ وهو دعاء البقاء ــ وألاّ ينظر الى تضرعه ورجائه وتوسله ؟؟ ويكون كمن يجهز ــ بعناية كاملة ــ جندياً واحداً بالعتاد ، ولا يرعى الجيش الجرار الموالي له !! وكمن يرى الذرة ولا يرى الشمس ! أو كمن يسمع طنين البعوضة ولا يسمع رعود السماء ! حاشَ لله مائة ألف مرة حاشَ لله .

وهل يقبل العقل ــ بوجه من الاوجه ــ ان القدير الحكيم ذا الرحمة الواسعة وذا المحبة الفائقة وذا الرأفة الشاملة والذي يحب صنعته كثيراً ، ويحبب نفسه بها الى مخلوقاته وهو أشد حباً لمن يحبونه ، فهل يعقل أن يُفني حياة مَن هو اكثر حباً له ، وهو المحبوب ، وأهل للحب ، والذي يعبد خالقه فطرةً ؟ ويُفني كذلك لب الحياة وجوهرها وهو الروح ، بالموت الأبدي والاعدام النهائي !! ويسبب جفوة بينه وبين محبيه ويؤلمهم أشد الايلام ! فيجعل سر رحمته ونور محبته معرّضاً للانكار ! حاشَ لله ألف

مرة حاشَ لله ۰۰۰ فالجمال المطلق الذي زيّن بتجلّيه هذا الكون وجمّله ، والرحمة المطلقة التي أبهجت المخلوقات قاطبة وزيّنتها ، لابد انهما منزّهتان ومقدستان بلا نهاية ولا حد عن هذه القساوة وعن هذا القبح المطلق والظلم المطلق ۰

النتيجة :

ما دامت في الدنيا حياة ، فلابد أن الذين يفهمون سر الحياة من البشر ، ولا يسيئون استعمال حياتهم ، يكونون اهلاً لحياة باقية ، في دار باقية وفي جنة باقية ۰۰۰ آمنا ۰

* * *

ثم ، ان تلألؤ المواد اللماعة على سطح الارض ، وتلمع الفقاعات والحباب والزبد على سطح البحر ، ومن ثم انطفاء ذلك التلألؤ والبريق بزوالها ولمعان الفقاعات التي تعقبها ـ كأنها مرايا لشُميسات خيالية ـ يظهر لنا بداهة ان تلك اللمعات ما هي إلاّ تجلي انعكاس شمسٍ واحدة عالية ۰ وتذكر بمختلف الالسنة وجود الشمس ، وتشير اليها بأصابع من نور ۰۰۰ وكذلك الامر في تلألؤ ذوي الحياة على سطح الارض ، وفي البحر ، بالقدرة الالهية وبتجلّي اسم (المحيي) للحي القيوم جلّ جلاله ، واختفائها وراء ستار الغيب لفسح المجال للذي يخلفها ـ بعد أن ردّدت « يا حي » ـ ما هي إلاّ شهادات واشارات للحياة السرمدية ولوجوب وجود الحي القيوم سبحانه وتعالى ۰

وكذا ، فان جميع الدلائل التي تشهد على العلم الالهي الذي تُشاهَد آثاره من تنظيم الموجودات ، وجميع البراهين التي تثبت القدرة المتصرفة في الكون ، وجميع الحجج التي تثبت الارادة والمشيئة المهيمنة على ادارة الكون وتنظيمه ، وجميع العلامات والمعجزات التي تثبت الرسالات التي هي مدار

الكلام الرباني والوحي الالهي ... جميع هذه الدلائل التي تشهد وتدلّ على الصفات الالهية السبع الجليلة ، تدل ــ وتشهد أيضاً ــ بالاتفاق على حياة (**الحي القيوم**) سبحانه ، لأنه : لو وجدت الرؤيــة في شيء فلابد أن لــه حياة أيضاً ، ولو كان له سمع فذلك علامة الحياة ، ولو وجد الكلام فهــو اشارة على وجود الحياة ، ولو كان هناك الاختيار والارادة فتلك مظاهر الحياة ، فان جميع الدلائل للصفات الجليلة التي تشاهد آثارها ويعلم بداهة وجودها الحقيقي ، أمثال القدرة المطلقة ، والارادة الشاملة ، والعلم المحيط ، تدل على حياة (**الحي القيــوم**) ووجــوب وجــوده ، وتشهد على حياتــه السرمدية التي نوّرت ــ بشعاعٍ منها ــ جميــعَ الكون وأحيّت ــ بتجــلٍ منها ــ الدار الآخرة كلها بذراتها معاً ..

* * *

والحياة كذلك تنظر وتدل على الركن الايماني (الايمان بالملائكة) وتثبته رمزاً . لان :

ما دامت الحياة هي أهم نتيجةٍ للكون ، وان ذوي الحياة ــ لنفاستهم ــ هم اكثر انتشاراً وتكاثراً ، وهم الذين يتتابعون الى دار ضيافة الارض قافلة اثر قافلة ، فتعمّر بهم وتبتهج ، وما دامت الكرة الارضية هي محط هــذا الســيل من ذوي الحيــاة ، فتملأ وتخلى بحكمة التجديد والتكاثر باستمرار . ويُخلق في أخس الاشياء والعفونات ذوو حياة بغزارة ، حتى اصبحت الكرة الأرضية معرضاً عاماً للاحياء . وما دام يخلق بكثرة هائلة على الأرض أصفى خلاصة لترشح الحياة وهو الشعور والعقــل والــروح اللطيفة ذات الجوهر الثابت ، فكأن الأرض تحيا وتتجمل بالحياة والعقل والشعور والارواح . فلا يمكن ان تكون الاجرام السماوية التي هي اكثر لطافة واكثر نوراً وأعظم أهمية من الارض جامدة ودون حياة وبلا شعور .

فالذين سيعمرون السماوات اذن يعمرونها ويبهجون الشموس والنجوم ، ويهبون لها الحيوية ، ويمثلون نتيجة خلق السماوات وثمرتها ، والذين سيتشرفون بالخطابات السبحانية ، هم ذوو الشعور وذوو الحياة من سكان السموات وأهاليها المتلائمين معها حيث يوجدون هناك بسرّ الحياة ، وهم الملائكـة ٠

* * *

وكذلك ينظر سر الحياة وماهيتها ويتوجه الى « الايمـان بالرسـل » ويثبته رمزاً ٠ نعم ! فما دام الكون قد خُلق لأجل الحياة وان الحياة هي اعظم تجل واكمل نقش وأجمل صنعة للحي القيوم جلّ جلاله ، وما دامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بارسال الرسل وانزال الكتب ، إذ لو لم تكن هنـاك « رسـل » ولا « كتب » لما عرفت تلـك الحياة الازلية ، فكما ان تكلم الفرد يبين حيويته وحياته كذلك الانبيـاء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم ، يبينون ويدلون على ذلـك المتكلم الحي الذي يأمر وينهى بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون ٠ فلابد ان الحياة التي في الكون كما انها تدل ـ بصورة قاطعة ـ على (الحي الازلي) سبحانه وتعالى وعلى وجـوب وجـوده ، فشعاعات تلك الحياة الازلية كذلك وتجلياتها تنظر وتتوجـه الى مالهـا ارتباط وعلاقات معها من اركان الايمان مثل (ارسال الرسل) و (انزال الكتب) وتثبتهما رمزاً ٠ ولاسيما «الرسالة المحمدية» و «الوحي القرآني» ٠ اذ يمكن القول ، انهمـا ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت تلـك الحياة ، حيث انهما بمثابة الروح والعقل والحياة ٠

نعم ، كما ان الحياة هي خلاصة مترشحة من هذا الكون ، والشعور والحس مترشحان من الحياة ، فهما خلاصتها ، والعقل مترشح من الشعور

والحس ، فهو خلاصة الشعور ، والروح هي الجوهـر الخالص الصـافي للحيـاة ، فهي ذاتهـا الثابتة المستقلة ، كذلك الحياة المحمدية ـ المادية والمعنوية ـ مترشحة من روح الكون ، والرسالة المحمدية كذلك مترشحة من حسّ الكون وشعورهِ وعقلِه ، فهي اصفى خلاصته ، بل ان حيـاة محمد صلى الله عليه وسـلم ـ المـادية والمعنوية ـ بشهادة آثارها حيـاة لحياة الكون ، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون ونور له ٠ والوحي القرآني ـ بشهادة حقائقه الحيوية ـ روح لحياة الكون وعقل لشعوره ٠٠ أجل ٠٠ أجل ٠٠ اجل ٠

فاذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره مات الكون وتوفيت الكائنات ، واذا ما غاب القرآن وفارق الكون ، لجنّ جنونه ولفقدت الكرة الأرضية صوابها ، ولزال عقلها ، ولظلت دون شعور ، ولاصطدمت باحدى سيارات الفضاء ، ولقامت القيامة ٠

★ ★ ★

والحياة ـ كذلك ـ تنظر الى الركن الايماني « **القدر** » وتـدل عليه وتثبته رمزاً ، اذ : ما دامت الحياة ضياءً لعالم الشهادة وقد استولت عليه وأحاطت به ، وهي نتيجة الوجود وغايته ، واوسع مرآةٍ لتجليات خالق الكون ، وأتم فهرس ونموذج للفعالية الربانية حتى كأنها بمثابة نوع من خطتها ومنهجها « اذا جاز التشبيه » ، فلابد أن سر الحياة يقتضي ان يكون عالم الغيب أيضاً ـ وهو بمعنى الماضي والمستقبل ، أي المخلوقات الماضية والقابلة ـ في نظام وانتظام وان يكون معلوماً ومشهوداً ومتعينـاً ومتهيأً لامتثـال الأوامر التكوينية ، أي كأنه في حياة معنوية ، مَثَلُهـا كمثل تلك البذرة الاصلية للشجرة وأصولها ، والنـوى والاثمـار التى في منتهاها ، التي تتميز بمزايا نوعٍ من الحياة كالشجرة نفسها ٠ بل قـد

تحمل تلك البذور قوانين حياتية أدق من قوانين حياة الشجرة ·

فكما ان البذور والأصول التي خلفها الخريف الماضي ، وما سيخلفه هذا الربيع ــ بعد إدباره ــ من البذور والأصول ، تحمل نور الحياة ، وتسير وفق قوانين حياتية ، مثل ما يحمله هذا الربيع من الحياة ، فكذلك شجرة الكائنات ، وكلُ غصنٍ منه وكلُ فرعٍ ، له ماضيه ومستقبله ، وله سلسلة مؤلفة من الاطوار والاوضاع ، القابلة والماضية ، ولكلّ نوعٍ ولكلّ جزء منه وجودٌ متعدد بأطوار مختلفة في العلم الالهي ، مشكلاً بذلك سلسلةَ وجودٍ علمي · والوجود العلمي هذا ، الشبيه بالوجود الخارجي هو مظهرٌ لتجل معنوي للحياة العامة ، حيث تؤخذ المقدرات الحياتية من تلك الالواح القدرية الحية ذات المغزى العظيم ·

نعم ، ان امتلاء عالم الارواح ــ الذي هو نوع من عالم الغيب ــ بالارواح التي هي عين الحياة ، ومادتها ، وجوهرها ، وذواتها ، يستلزم ان يكون الماضي والمستقبل ــ اللذان هما نــوع من عالــم الغيب وقسم ثان منه ــ متجلّية فيهما الحياة · وكذا فان الانتظام التام والتناسق الكامل في الوجود العلمي الالهي لأوضاعٍ ذات معانٍ لطيفة لشيء ما ونتائجَه واطوارَه الحيوية ليبيّن ان له اهلية لنوع من الحياة المعنوية ·

نعم ، ان مثل هذا التجلي ــ تجلي الحياة ــ الذي هو ضياء شمس الحياة الازلية لن ينحصر في عالم الشهادة هذا فقط ، ولا في هذا الزمان الحاضر ، وفي هذا الوجود الخارجي ، بل لابد أن لكل عــالم من العــوالم مظهراً من مظاهر تجلّي ذلك الضياء حسب قابليته ، فالكونُ اذن ــ بجميع عوالمه ــ حيٌ ومشع مضيء بذلك التجلي ، وإلا لأصبح كل من العوالم ــ كما تراه عــين الضلالة ــ جنازة هائلــة مخيفة تحت هــذه الدنيــا المؤقتة الظاهرة ، وعالما خرباً مظلماً ·

وهكذا يفهم وجه من أوجه الايمان بالقضاء والقدر من سر الحياة ويثبت به ويتضح · أي كما تظهر حيوية عالم الشـهادة والموجـودات الحاضرة بانتظامها وبنتائجها ، كذلك المخلوقات الماضية والآتية التي تعدّ من عالم الغيب لها وجود معنوي ، ذو حياة معنى ، ولها ثبوت علمي ذو روح بحيث يظهر ـ باسم المقدرات ـ اثر تلك الحياة المعنوية بوساطة لـوح القضاء والقـدر ·

القطعة الثالثــة

من الذيل

« امثلة مشهودة عن الحشر »

سؤال يرد بمناسبة مبحث الحشر :

ان ما ورد في القرآن الكريم مراراً (**ان كانت إلا صيحة واحدة**) ، (**وما أمر الساعة إلا كلمح البصر**) يبين لنا ان الحشر الاعظم سيظهر فجأة الى الوجود ، في آن واحد بلا زمان . ولـكن العقول الضيقة تطلب أمثلة واقعية مشهودة كي تقبل وتذعن لهذا الحدث الخارق جداً والمسألة التي لا مثيل لها .

الجـواب

ان في الحشر ثلاث مسائل هي : عودة الارواح الى الاجساد ، وإحياء الاجساد ، وانشاء الاجساد وبناؤها .

المسألة الأولى :

وهي مجيء الارواح وعودتها الى اجسادها ومثاله هو : اجتماع الجنود المنتشرين في فترة الاستراحة والمتفرقين في شتى الجهات على الصوت المدوي للبوق العسكري .

نعم ، ان الصور الذي هو بوق اسرافيل عليه السلام ، كما انه ليس قاصراً عن البوق العسكري ، فان الارواح التي هي في جهـة الأبـد وعالم الذرات والتي أجابت بـ « قالوا : بلى » عندما سمعت نداء « ألست بربكم » المقبل من اعماق الازل ، فان نظامها وطاعتها هذا ـ بلاشك ـ يفوق أضعاف أضعاف ما عند أفراد الجيش المنظم . وقد اثبتت « الكلمة الثلاثون » ببراهين

دامغة انه ليست الارواح وحدها جيش سبحاني فحسب وانما جميع الذرات هي جنوده المتأهبون للنفير العـام ٠

المسألة الثانية :

وهي إحياء الاجساد ٠ ومثاله هو :

مثلما يمكن إنارة مئات الآلاف من المصابيح الكهربائية ـ ليلة مهرجان مدينة عظيمة ـ من مركز واحد ، في لحظة واحدة ، كأنهـا بلا زمـان ٠ كذلك يمكن انارة مئات الملايين من مصابيح الأحياء وبعثها على سطح الارض من مركز واحد ٠ فما دامت الكهرباء ـ وهي مخـلوقة من مخـلوقات الله سبحانه وتعالى وخادمة إضاءةٍ في دار ضيافته ـ لها هذه الخصائص والقدرة على القيام بأعمالها حسب ما تتلقاه من تعليمات وتبليغات ونظام من خالقها، فلابد ان الحشر الاعظم سيحدث كلمح البصر ضمن القوانين المنظمة الالهية التي يمثلها آلاف الخدم المنوّرين كالكهرباء ٠

المسألة الثالثة :

التي هي انشاء الاجساد فوراً فمثالها هو :

انشاء جميع الاشجار والاوراق ـ التي يزيد عددها ألف مرة على مجموع البشرية ـ دفعة واحدة في غضون بضعة ايام في الربيع ، وبشكل كامل ، وبالهيئة نفسها التي كانت عليه في الربيع السابق ٠٠٠ وكذلك ايجاد جميع الازهار والثمار والاوراق للاشجار كافة ـ بسرعة كالبرق ـ كما كانت في الربيع الماضي ٠٠٠ وكذلك تنبّه البُذيرات والنوى والبذور التي لا تحصى ولا تعد ـ هي منشأ ذلك الربيع ـ في آن واحد معاً وانكشافها واحياؤها ٠٠٠ وكذلك نشور الجثث المنتصبة والهياكل العظمية للاشجار ، وامتثالها فوراً لأمر « البعث بعد الموت » ٠٠٠ وكذلك احياء افراد من انواع الحيوانات الدقيقة وطوائفها التي لا حصر لها بمنتهى الدقة والاتقان ٠٠٠

وكذلك حشر أمم الحشرات ـ ولاسيما الذباب (الماثل امام عيني والذي يذكرنا بالوضوء والنظافة لقيامه بتنظيف يديه وعيونه وجناحيه باستمرار وملاطفته وجوهنا) ـ الذي يفوق عدد ما ينشر منه في سنة واحدة عدد بني آدم جميعهم من لدن آدم عليه السلام ، فحشر هذه الحشرة في كل ربيع مع سائر الحشرات الاخرى واحياؤها في بضعة أيام ، لابد انه لا يعطي مثالاً واحداً بل آلاف الامثلة على انشاء الاجساد البشرية فوراً يوم القيامة ٠

نعم ، لما كانت الدنيا هي دار « الحكمة » والدار الآخرة هي دار « القدرة » فان ايجاد الاشياء في الدنيا صار بشيء من التدريج ومع الزمن . بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب اغلب الاسماء الحسنى امثال « الحكيم ، المرتّب ، المدبر ، المربي » ٠ أما في الآخرة فان « القدرة » و « الرحمة » تتظاهران اكثر من « الحكمة » فلا حاجة الى المادة والمدة والزمن ولا الى الانتظار ٠ فالاشياء تنشأ هناك نشأة آنية ٠ وما يشير اليه القرآن الكريم بـ « وما أمرُ الساعةِ إلاّ كلمح البصر او هو اقرب » ، هو : ان ما ينشأ هنا من الاشياء في يوم واحد وفي سنة واحدة ينشأ في لمحة واحدة ـ كلمح البصر ـ في الآخرة ٠

واذا كنت ترغب ان تفهم ان مجيء الحشر أمر قطعي كقطعية مجيء الربيع المقبل وحتميته ، فانعم النظر في (الكلمة العاشرة) و (الكلمة التاسعة والعشرين) ٠٠ وان لم تصدق به كمجيء هذا الربيع ، فلك ان تحاسبني حساباً عسيراً ٠

المسألة الرابعة :

وهي موت الدنيا وقيام الساعة ، فمثاله : انه لو اصطدم كوكب سيار أو مذنب ـ بأمر رباني ـ بكرتنا الارضية التي هي دار ضيافتنا ، لدمّر مأوانا ومسكننا (أي الارض) ، كما يُدمّر في دقيقة واحدة قصرٌ بُني في عشر سنوات ٠

القطعة الرابعــة

من الذيل

« القرآن يهيىء الاذهان للايمان بالآخرة »

[قال من يحيي العظام وهي رميم • قل يحييها الذي انشأها أول مرّة• وهو بكلّ خلقٍ عليم] • سورة يس/٧٨ ، ٧٩

فكما جاء في المثال الثالث في الحقيقة التاسعة للكلمة العاشرة ، أنه :

اذا قال لك احدهم : ان شخصاً عظيماً ـ في الوقت الذي ينشيء أمام أنظارنا جيشاً ضخماً في يوم واحد ـ يمكنه ان يجمع فرقة كاملة من الجنود المتفرقين للاستراحة بنفخ من بوق ، ويجعلهم ينضوون تحت نظام الفرقة ، واجبته : لا ، لا أصدق ذلك ، ألا يكون جوابك وانكارك جنوناً وبلاهة ؟ كذلك ، فان الذي أوجد اجساد الحيوانات كافة ، وذوي الحياة كافة ، من العدم ـ تلك الاجساد التي هي كالفرق العسكرية للكائنات الشبيهة بالجيش الضخم ـ ونظّم ذراتها ولطائفها ووضعها في موضعها اللائق ، بنظام كامل وميزان حكيم بأمر « كن فيكون » ، وهو الذي يخلق ، في كل قرن ، بل في كل ربيع ، مئات الآلاف من انواع ذوي الحياة ، وطوائفها الشبيهة بالجيش ••• فهل يمكن ان يُسأل هذا القدير وهذا العليم : كيف سيجمع بصيحة واحدة ـ من بوق اسرافيل ـ جميع الذرات الاساس والاجزاء الاصلية من الجنود المتعارفين تحت لواء فرقة الجسد ونظامها ؟! وهل يمكن ان يستبعد هذا منه ؟ أوَ ليس استبعاده بلاهة وجنوناً ؟؟

وكذلك فان القرآن الكريم قد يذكر من افعال الله الدنيوية العجيبة

والبديعة كي يعدّ الاذهان للتصديق ويحضر القلوب لقبول افعاله المعجزة في الآخرة . أو أنه يصوّر الافعال الالهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل والآخرة بشكل نقنع ونطمئن اليه بما نشاهده من نظائرها العديدة . فمثلاً .

[أوَ لم ير الانسان انّا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ...]
الى آخر سورة (يس) .. هنا في قضية الحشر ، يثبت القرآن الكريم ويسوق البراهين لها ، بسبع أو ثماني صور مختلفة متنوعة .

أولا : انه يقدّم النشأة الاولى ، ويعرضها للانظار قائلاً : انكم ترون نشأتكم من النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة ومن المضغة الى خلق الانسان ، فكيف تنكرون اذن النشأة الاخرى التي هي مثل هذا بل أهون منه ؟ ثم يشير بـ « الذي جعل لكم من الشجَر الأخضر ناراً » الى تلك الآلاء وذلك الاحسان والانعام الذي انعمه الحق سبحانه على الانسان ، فالذي ينعم عليكم مثل هذه النعم ، لن يترككم سدىً ولا عبثاً ، لتدخلوا القبر وتناموا دون قيام . ثم انه يقول رمزاً : انكم ترون احياء واخضرار الاشجار الميتة ، فكيف تستبعدون اكتساب العظام - الشبيهة بالحطب - للحياة ولا تقيسون عليها ؟ ثم هل يمكن ان يعجز مَن خلق السماوات والارض عن إحياء الانسان واماتته وهو ثمرة السموات والارض ؟ وهل يمكن من يدير أمر الشجرة ويرعاها ان يهمل ثمرتها ويتركها للآخرين ؟! فهل تظنون أن يُترك للعبث « شجرة الخلقة » التي عجنت جميع اجزائها بالحكمة ، ويهمل ثمرتها ونتيجتها ؟ وهكذا فان الذي سيحييكم في الحشر هو : مَن بيده مقاليد السموات والارض ، وتخضع له الكائنات خضوع الجنود المطيعين لأمره فيسخرهم بأمر « كن فيكون » تسخيراً كاملاً ... ومَن عنده خلق الربيع يسير وهيّن كخلق زهرة واحدة ، وايجاد جميع

الحيوانات سهل امام قدرته كايجاد ذبابة واحـدة · فـلا ولن يُسأل ــ للتعجيز صاحب هذه القدرة : « **مَن يحيي العظام** » ؟

ثم انه بعبارة « فسبحانَ الذي بيَدهِ ملكوت كلّ شيء » يبين انـه سبحانه بيده مقاليد كل شيء ، وعنده مفاتيح كل شـيء ، يقلب الليـل والنهـار ، والشـتاء والصيف بكل سهولة ويسر كأنها صفحات كتاب ، والدنيا والآخـرة هما عنـده كمنزلين يغلق هـذا ويفتح ذاك · فما دام الأمر هكذا فان نتيجة جميع الدلائل هي : « **واليه ترجَعون** » اي : انـه يحييكم من القبر ، ويسوقكم الى الحشر ، ويوفي حسابكم عند ديوانه المقدس·

وهكذا ترى ان هذه الآيات قد هيأت الاذهان ، واحضرت القلوب لقبول قضية الحشر ، بما أظهرت نظائرها بافعال في الدنيا ·

هذا وقد يذكر القرآن ايضاً افعالاً اخروية بشكل يحسس ويشير الى نظائرها الدنيوية ، ليمنع الانكار والاستبعاد فمثلا :

[بسم الله الرحمن الرحيم · اذا الشمسُ كوّرت · واذا النجـومُ انكدرَت · واذا الجبالُ سُيرت · واذا العِشارُ عُطّلت · واذا الوحوشُ حُشرت · واذا البحارُ سجّرت · واذا النفوسُ زوّجَت · واذا المـؤودة سُئلت · بأيّ ذنبٍ قُتلت · واذا الصحفُ نُشـرت · واذا السـماءُ كُشطت · واذا الجحيمُ سُعّرت · واذا الجنة أزلفَت · عَلمت نفسٌ ما احضَرَت ···] الى آخر السورة ·

[بسم الله الرحمن الرحيم · اذا السماءُ انفطرَت · واذا الكواكبُ انتثَرت · واذا البحارُ فُجّرت · واذا القبور بُعثرت · عَلِمت نفسٌ ما قدّمت واخّرت ···] الى آخر السورة ·

[بسم الله الرحمن الرحيم ٠ اذا السماءُ انشقّت ٠ وأذِنَت لربّها وحُقّت ٠ واذا الارضُ مُدّت ٠ والقت ما فيها وتخلّت ٠ وأذِنَت لربّها وحُقّت ٠٠٠] الى آخر السورة ٠

فترى ان هـذه السوَر تذكر الانقلابات العظيمة والتصرفات الربانية الهائلة باسلوب يجعل القلب امام الدهشة الهائلة التي يضيق العقل دونها ويبقى في حيرة ٠ ولكن الانسان ما أن يرى نظائرها في الخريف والربيـع إلاّ ويقبلها بكل سهولة ويسر ٠ ولما كان تفسير السور الثلاث هذه يطول ، لذا سنأخذ كلمة واحدة نموذجاً . فمثلاً :

« **واذا الصحف نشرت** » تفيد هذه الآية : « ستنشر في الحشر جميع اعمال الفرد مكتوبة على صحيفة » ٠ وحيث ان هذه المسألة عجيبة بذاتهـا فلا يرى العقل اليها سبيلاً ، إلاّ أن السورة كما تشير الى الحشر الربيعي وكما ان للنقاط الاخرى نظائرها وأمثلتها كذلك نظير نشر الصحف ومثالها واضح جلي : فلكل ثمر ولكل عشب ، ولكل شجر ، أعمال وله أفعـال ، وله وظائف ٠ وله عبودية وتسبيحات بالشكل الذي تظهر بـه الاسـماء الالهية الحسنى ، فجميع هذه الاعمال مندرجة مع تاريخ حياتـه في بذوره ونواه كلها ٠ وستظهر جميعها في ربيع آخر ومكان آخر ٠ أي انه كما يذكر ـ بفصاحة بالغة ـ أعمال أمهاته وأصوله بالصورة والشكل الظاهر ، فانه ينشر كذلك صحائف أعماله بنشر الاغصان وتفتح الاوراق والاثمار ٠

نعم إن الذي يفعل هذا ـ أمام أعيننا ـ بكل حكمة وحفظ وتدبـير وتربية ولطف هو الذي يقول « **واذا الصحف نشرت** » ٠

وهكذا قس النقاط الاخرى على هذا المنوال ٠ وان كانت لديك قوة استنباط فاستنبط ٠ ولاجل مساعدتك ومعاونتك سنذكر « **اذا الشمس**

كوّرت » ايضاً ٠ فان لفظ « كوّرت » الذي يرد في هذا الكلام هو بمعنى : لُفّت وجمعت ، فهو مثال رائع ساطع فوق أنه يومىء الى نظيره ومثيلـه في الدنيـا :

أولا : ان الله سبحانه وتعالى قد رفع ستائر العدم والاثير والسماء ، عن جوهرة الشمس التي تضيء الدنيا كالمصباح ، فأخرجها من خزينة رحمته واظهرها الى الدنيا ٠ وسيلفّ تلك الجوهرة بأغلفتها عندما تنتهي هـذه الدنيا وتنسد أبوابها ٠

ثانيـاً : ان الشمس موظفة ومأمورة بنشر غلالات الضوء في الاسحار ولفّها في الاماسي وهكذا يتناوب الليل والنهار على هامة الارض ، وهي تجمع متاعها مقللاً من تعاملها ، أو قد يكون القمر ــ الى حـدٍ ما ــ نقاباً لاخذها وعطائها ذلك ، أي كما ان هذه الموظفة تجمع متاعها وتطوي دفاتر اعمالها بهذه الاسباب فلابد من أن يأتي يوم تعفى من مهامها ، وتنفصل من وظيفتها ، حتى ان لم يكن هناك سبب للاعفاء والعزل ٠ ولعلّ توسع مـا يشاهده الفلكيون على وجهها من البقعتين الصغيرتين الآن اللتين تتوسعان وتتضخمان رويداً رويداً ٠ تسترجع الشمس ــ بهذا التوسع ــ وبأمر رباني ما لفّته ونشرته على رأس الارض باذن الهي من الضوء ٠ فتتلف به نفسها ٠ فيقول ربّ العزة : الى هنا انتهت مهمتك مـع الارض ، فهيّا الى جهنـم لتحرقي الذين عبدوك وأهانوا موظفاً مسخراً مثلك وحقروه متهمين إيـاه بالخيانة وعدم الوفاء ٠ بهذا تقرأ الشمسُ الامرَ الرباني « اذا الشمسُ كوّرت » على وجهها المبقع ٠

القطعة الخامسة

من الذيل

« الاجماع الكلي على حقيقة الآخرة »

ان مائة وأربعة وعشرين ألفاً من أسمى البشر وهم الانبياء عليهم السلام ـ كما هو ثابت بنص الحديث ـ يخبرون بالاجماع والتواتر والاتفاق عن وجود الآخرة ، وعن سَوق الناس اليها ، وان الله سيأتي بها حتماً مستندين على الشهود ـ عند بعضهم ـ وعلى حق اليقين عند الاخرين ، ويصدّق هذا مائة وأربعة وعشرون مليوناً من الاولياء كشفاً وشهوداً وبعلم اليقين ... فهذه الشهادات ـ مع تجليات جميع الاسماء الحسنى للصانع الحكيم الظاهرة على أرجاء هذه الدنيا ـ تقتضي وجود عالم البقاء وتدل على وجود الآخرة ... وكذلك القدرة المطلقة والحكمة الأبدية التي لا اسراف فيها والتي تحيي في كل ربيع ما لا يعد ولا يحصى من جنائز الاشجار الميتة المنتصبة القائمة على سطح الارض بأمر « كن فيكون » وتجعلها رمزاً لـ « البعث بعد الموت » والتي تحشر وتنشر مئات الآلاف من نماذج الحشر والنشور باحيائها ثلاثمائة ألف نوع من الحيوانات والنباتات وطوائفهما .. وكذلك الرحمة الدائمة ، والعناية الفائقة التي تقدّم الرزق الى المحتاجين من ذوي الحياة برأفة كاملة وشفقة بالغة وبصورة خارقة معجزة، والتي تظهر ما لا يحصر من انواع الزينة والمحاسن في كل ربيع ... كل ذلك يستلزم بالبداهة وجود الآخـرة .

وكذلك عشق البقاء والشوق الى الابد والامال السرمدية ، تلك الصفات الدائمة التي لا تتزعزع والمغروزة في الانسان الذي هو أفضل ثمرة للكائنات **وأكملها ، واحب مخلوق عند خالق الكائنات ، وأوثق علاقة بالموجودات ٠٠٠** كل ذلك يشير بداهة ويدل على **أن بعد هذا العالم الفاني هناك عالماً باقياً ودارا خالدة سعيدة ٠٠٠** فكل ما سبق يثبت ذلك بشكل قاطع وثابت حتى يجعل الايمان بوجود الآخرة بديهة كبداهة وجود الدنيا(١) ٠

فما دام أهم درس يلقننا به القرآن الكريم هو « الايمان بالآخرة ، وان هذا الايمان ثابت وذا حجة بالغة الى هذه الدرجة ، وأنه يحمل من الرجاء والشفاء والامل ما لو اجتمعت شيخوخة مائة ألف من الناس في شخص واحد لكفاها السلوان النابع من الايمان بالآخرة ٠

فعلينا ـ نحن الشيوخ ـ ان نفرح بشيخوختنا قائلين :

« الحمــد لله على كمال الايمــان »

---

(١) يتبين من المثال الآتي ، أن في إخبار « الامر الثابت » يسر وسهولة بخلاف انكاره ونفيه ، ففيه الصعوبة البالغة والمشكلات العويصة :ـ
اذا قال أحدهم : ان هناك على الارض حديقة غريبة تثمر علب الحليب، وقال الآخر : لا ، لا يوجد شيء من هذا ! ٠ فيكفي عندئذ لمن يريد أن يثبت ان يشير الى مكانها ، أو أن يبرز بعض الثمار منها أما المنكر فلأجل ان ينفي وجودها من على الكرة الارضية ـ اثباتاً لدعواه ـ ينبغي له رؤية واراءة الكرة الارضية قاطبة ٠ ومثل هذا تماما أولئك الذين يخبرون عن وجود الجنة ، فيكفيهم ثبوت شهادة شاهدَين صادقين ، حيث انهم يظهرون مئات الآلاف من ترشحاتها وثمراتها وآثارها ٠ اما اثبات جحودها وانكارها ، فعلى المنكرين رؤية الكائنات التي لا حد لها والنظر في الزمان الابدي الذي لا نهاية له ، للبحث عنها ، ومن ثم يمكن اثبات انكارها ونفيها واظهار عدمها ٠
فيا من بلغ به الكبر عتياً ويا أيها الاخوة ! اعلموا أنه ما أعظم قوة الايمان بالآخرة وما اشد رصانته ٠

فهـرس

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٠٩٢ لسنة ١٩٨٤

تم طبع الكتاب في ١٩٨٤/٧/٢٨ بعدد ثلاثة آلاف نسخة

نعم ، كما ان الحياة هي خلاصة مترشحة من هذا الكون ، والشعور والحس مترشحان من الحياة ، فهما خلاصتها ، والعقل مترشح من الشعور والحس ، فهو خلاصة الشعور ، والروح هي الجوهر الخالص الصافي للحياة ، فهي ذاتها الثابتة المستقلة ، كذلك الحياة المحمدية ـ المادية والمعنوية ـ مترشحة من روح الكون ، والرسالة المحمدية كذلك مترشحة من حس الكون وشعوره وعقله ، فهي اصفى خلاصته ، بل ان حياة محمد صلى الله عليه وسلم ـ المادية والمعنوية ـ بشهادة آثارها حياة لحياة الكون ، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون ونور له . والوحي القرآني ـ بشهادة حقائقه الحيوية ـ روح لحياة الكون وعقل لشعوره .. أجل .. أجل .. أجل .

فاذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره مات الكون وتوفيت الكائنات ، واذا ما غاب القرآن وفارق الكون ، لجن جنونه ولفقدت الكرة الأرضية صوابها ، ولزال عقلها ، ولظلت دون شعور ولأصطدمت باحدى سيارات الفضاء ، ولقامت القيامة .

ثمن النسخة ١٢٥٠ فلس